

الانحراف في الأمة
أسبابه، آثاره،
سبل مواجهته

٢

الطبعة الأولى

1433هـ

الطبعة الثانية

1433هـ

مزيدة ومنقحة

الانحراف في الأمة

أسبابه، آثاره، سبل مواجهته

تأليف

عبدالعزیز بن أحمد البداح



M يجب أن تؤرخ الفضائل والرذائل لينفر
سامعها عن القبيح المأثور عن غيره، ويرغب
في الحسن المنقول عن من تقدّمه، ويتعظ بما
سلف

الأخلاق والسير، لابن حزم، ص(152)

M بيان من غلط في رأي رآه في أمر الدين من
المسائل العلمية والعملية، فهذا إذا تكلم فيه
الإنسان بعلم وعدل وقصد النصيحة، فالله تعالى
يثيبه على ذلك، لا سيما إذا كان المتكلم فيه
داعياً إلى بدعة، فهذا يجب بيان أمره للناس،
فإن دفع شرّه عنهم أعظم من دفع شرّ قاطع
الطريق

منهاج السنة، لابن تيمية، (146/5)



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:
فهذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب، أقدمها بزيادات وإضافات
مهمة بعد نفاذ الطبعة الأولى في فترة وجيزة ولله الحمد والمنة.
والله أسأل أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم مقرباً لديه في
جنات النعيم.
وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه:

عبد العزيز بن أحمد البداح

al.bedah@hotmail.com

1433/8/1هـ

المقدمة

الحمد لله وحده، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل وهو
 عليم بذات الصدور، يضل من يشاء ويبتلي عدلاً، ويهدي من يشاء
 ويعافي فضلاً، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، والصلاة والسلام على
 من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه،
 أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الخلق جثثاً ثدثاً ثدثاً ففوق ففوق ففوق [التغابن:2]،
 فطائفة تعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبين النار إلا ذراع فتعمل
 بعمل أهل الجنة فتدخلها، وطائفة تعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها
 وبين الجنة إلا ذراع فتعمل بعمل أهل النار فتدخلها.
 وأسباب الهلاك والضلال كثيرة ضلّ بسببها من ضل، ومن يضل
 الله فما له من هاد.

ويتأكد الحديث عن أسباب الزيغ في هذا الزمن الذي كثر فيه
 المتساقطون في الفتن، وقويت فيه دواعي الانحراف، وأعلن فيه
 المنحرفون بانحرافهم، وتداعى أهل الضلال للدعوة إلى باطلهم.
 فلمّا رأيت هذه الحال كتبت هذا الكتاب في بيان أسباب الانحراف في
 الأمة وآثاره وسبل مواجهته.

وإني أرى أن هذه البلاد - حرسها الله بالإسلام - تواجه في هذه
 المرحلة من تاريخها غزواً فكرياً وعقدياً سافراً ومكشوفاً تواطأت فيه فرق
 وتمالأت عليه طوائف تمثلها: الرافضة والصوفية والمنافقون بموازرة
 جملة من المغفلين.. ترمي إلى هدم الأصول، وفك وثاق الدعوة والدولة،
 ورفع الغطاء الشرعي، ومحو الخصوصية الدينية.

فهذا الكتاب يكشف دعوات مشبوهة ويحذر من توجهات منحرفة
 ويعالج واقعاً قائماً ويؤرخ لمرحلة زمنية سقطت فيها الأقنعة وانتشى فيها

أهل الزيغ.

والمراد بالانحراف هنا: معارضة السلف الصالح في الاعتقاد أو منهجهم في الاستدلال ويدخل في ذلك الفرق والمذاهب والاتجاهات المنحرفة في القديم والحديث.

ولا بد من التوكيد هنا على أن الانحراف قد يكون توجهاً يكشف ملامحه مجموعة من المقالات.. أصحابها متبنيون فبعضهم لديه انحراف في المعتقد أو منهج الاستدلال، والآخر قد يكون مجتهداً لكن وافق المنحرفين في اجتهاده، وعلى ذلك فليس كل مقالة منحرفة يكون صاحبها منحرفاً.. وهذا منهج أهل السنة والجماعة في الحكم على المقالات كما هو مقرر في موضعه، وهذا لا يعني عدم التشبيه على ذلك الخطأ أو تلك الزلة.

قال شيخ الإسلام (ت:728هـ): (فعلم بخبره الصدق أنه في أمته قوم متمسكون بهديه، الذي هو دين الإسلام محضاً، وقوم منحرفون... وإن كان الرجل لا يكفر بكل انحراف، بل وقد لا يفسق أيضاً، بل قد يكون الانحراف كفراً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأ⁽¹⁾).

والتصريح بالأسماء في هذا الكتاب جاء للتحذير من مناهج أصحابها ومواقفهم وهو مسلك معروف عند أهل السنة اتبعوه في كتب الردود والفرق والتأريخ ولم يعرف له منكر.

وبعض الناس قد يحملة الورع البارد أو التعصب للأشخاص والتحزب للتجمعات على إنكار الرد على تلك الأسماء والشخصيات بحجة أنهم مسلمون أو دعاة...!!⁽²⁾ وهذا يتعارض مع ما هو متقرر عند أهل السنة من لزوم الرد على المخالفين مما تجده مفصلاً في كتاب الشيخ العلامة: بكر أبو زيد: الرد على المخالف من أصول الإسلام.

وقد اضطررت لبيان هذا لما رأيت بعض الناس يفهم بعض الكتابات على نحو خاطئ لم يرده المؤلف أصلاً، إما بسبب قراءته المجتزأة، أو فهمه القاصر، أو قصده المدخول.

ومنهجي في هذا الكتاب يقوم على الآتي:

- الإشارة إلى الشواهد من غير دعوى الاستقصاء لتعذره.

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (82/1).

(2) قال العلامة المعلمي: (من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، ومن أمضى أسلحته أن يرمي الغالي كل من يحاول رده إلى الحق ببغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم). التنكيل (6/1).

- الميل إلى الاختصار لتسهيل المطالعة وتخفيف القراءة ولأن الرسالة موجهة إلى العموم.
 - تجنببت الشواهد التاريخية المشهورة وحرصت على المغمور منها طلباً للإضافة، ولإفادة القارئ بالجديد.
 - يعالج الكتاب واقعاً قائماً بعد رصد وتتبع واستقراء لأحوال المنحرفين.
 - رَبطُ أسباب الانحراف ومظاهره مع منهج السلف: أقوالاً ومواقف.
 - حرصت على تدوين الوقائع والأحداث، لتكون تاريخاً لا ينسى.
 - ما كان من نماذج وشواهد في كتاباتي السابقة أشرت إليه من غير إعادة ذكره لئلا أقع في التكرار، والشواهد المذكورة في هذا الكتاب جديدة لم يسبق لي تدوينها.
 - أسباب الانحراف كثيرة لكني اقتصرت على ما له شواهد من واقع المسلمين اليوم.
 وقد جاء هذا الكتاب في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وهي:

التمهيد: وجوب الاستقامة والتحذير من الانحراف.

الفصل الأول: أسباب الانحراف في الأمة.

الفصل الثاني: آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة.

الفصل الثالث: سبل مواجهة الانحراف.

وهذه الدراسة تقوم: على استقراء الواقع، ورصد الأحداث، وتدوين الوقائع، وجرد دواوين الإسلام، وضم النظر إلى نظيره.
 وحمل عليها النصيحة للناشئة، وفضح المنحرفين، والغيرة على التوحيد والسنة. وأملاها الواجب الشرعي، والنصيحة الإسلامية، وفرض البيان.

والله أسأل التوفيق في القول والعمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه:

عبدالعزیز بن أحمد البداح

al.bedah@hotmail.com

1432/12/29 هـ

قال ابن أبي مليكة (ت: 117هـ): "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي @ كلهم يخاف النفاق على نفسه" (1).

وقال الحسن البصري (ت:): "لا يخافه - يعني النفاق - إلا مؤمن، ولا يأمنه إلا منافق" (2).

وفي زماننا كثرت أسباب الزيغ وتعددت سبل الانحراف، ووقع في غوائلها من لم تدركهم رحمة ربهم نسأل الله السلامة.

وفي آخر الزمان يكثر الزائغون، في الحديث: [بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويمسي كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا] (3).

فحري بكل مسلم يسعى لنجاة نفسه سواء أكان عالماً أم متعلماً داعيةً أم مدعواً أن يحرص على تفقد نفسه ومحاسبة أقواله وأفعاله محاسبة مستمرة لئلا يقع في حبال الذين في قلوبهم مرض من أهل الزيغ والانحراف ويلجأ إلى الله ويدعوه ويسأله الثبات على الحق حتى الموت فإن هذا هو سبيل الأنبياء والصالحين كما هو ظاهر في آيات القرآن والسنة وسير سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

(1) أخرجه مسلم (169).

(2) ذكره البخاري تعليقا، في كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، عن الحسن البصري، وقال ابن رجب رحمه الله: فهذا مشهور عن الحسن، صحيح عنه (فتح الباري 1/180).

(3) أخرجه مسلم (118).



الفصل الأول

أسباب الانحراف في الأمة



أولاً الإعراض عن الوحي

أنزل الله الكتاب نوراً وهدى للناس، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا الْوَيْحَ الَّذِي يُنَزَّلُ فِي صُورٍ سِدْقٍ لِّتُذَكَّرُوا﴾ [الشورى:52]. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا الْوَيْحَ الَّذِي يُنَزَّلُ فِي صُورٍ سِدْقٍ لِّتُذَكَّرُوا﴾ [الأعراف:52].

ولما أعرض فنام من الناس عن الوحي وقعوا في الحيرة والاضطراب وأصابهم الشك والارتباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:728هـ): (جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك: أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى، والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل..)⁽¹⁾

قال محمد بن مسلم الزهري (ت:134هـ): (الاعتصام بالسنة نجات)⁽²⁾.

وقال عبدالرحمن بن شريح (ت:167هـ): (أقلوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تقسّي القلب وتورث العداوة)⁽³⁾.

قال الذهبي (ت:748هـ) معلقاً: (قلت: صدق والله، فما الظن إذا كانت مسائل الأصول ولوازم الكلام في معارضة النص، فكيف إذا كانت من تشكيكات المنطق، وقواعد الحكمة، ودين الأوائل؟ فكيف إذا كانت من

(1) مجموع الفتاوى (135/13).

(2) سير أعلام النبلاء (337/5).

(3) سير أعلام النبلاء (183/7).

حقائق الاتحادية، وزندقة السبعينية، ومروق الباطنية؟⁽¹⁾.

وأصل الضلال الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى، كما فهمه الصحابة والتابعون ومعارضة ما دلَّ عليه بما يناقضه وهذا من أعظم المحادة لله ولرسوله⁽²⁾.

وعامة من ضلَّ أو عجز عن معرفة الحق فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا⁽³⁾.

ولهذا فالمنحرفون من رؤوس الضلال والبدع في القديم والحديث من أجهل الناس بالكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728هـ): (ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين بمضمونهما هم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن اتباعه من هؤلاء، هذا الأمر محسوس، بل إذا اكتشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله @ وأحواله، وبواطن أموره وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميّزون بين ما قاله الرسول وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه... بل غالب هؤلاء لا يعلمون معاني القرآن، فضلاً عن الحديث، بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلاً... حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميّز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية، فقال: لا نسلم صحة الحديث! وربما قال: لقوله عليه السلام كذا، وتكون آية من كتاب الله. وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر.

وحدثني ثقة أنه تولّى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين رجل يسمى شمس الدين الأصبهاني شيخ الايكي، فأعطوه جزءاً من الربعة فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم المصن) حتى قيل له: ألف لام ميم صاد⁽⁴⁾.

وكان جهم بن صفوان (ت: 128هـ) فصيح اللسان، لكن لم يكن له علم ولا مجالسة للعلماء⁽⁵⁾.

قال الذهبي (ت: 748هـ): (كان الإمام - يعني الجويني (ت: 478هـ)

(1) سير أعلام النبلاء (183/7).

(2) درء التعارض (383/5).

(3) درء التعارض (54/1).

(4) مجموع الفتاوى (95-96/4).

(5) الإبانة (390/1).

- مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب لا يدري الحديث كما يليق به لا متناً ولا إسناداً...⁽¹⁾.

وكان محمد بن كرام - رأس الكرامية - (ت: 255هـ) قليل العلم⁽²⁾.

وكان أبو هاشم عبدالسلام بن محمد الجبائي (ت: 321هـ) من رؤوس المعتزلة من الجهلة بآثار النبوة برع في الفلسفة والكلام وما شَمَّ رائحة الإسلام⁽³⁾.

وذكر أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) في كتابه: (الإحياء) من الأحاديث الموضوعية وما لا يصح غير قليل وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل⁽⁴⁾. وكان يقول: أنا مُزجى البضاعة في الحديث⁽⁵⁾.

وأبو الحسين البصري وأمثاله من المعتزلة، وكذلك الغزالي والرازي وأمثالهما، هم أقل الناس علماً بالأحاديث النبوية وأقوال السلف في أصول الدين، وفي معاني القرآن، وفيما بلغوه من الحديث، حتى إن كثيراً منهم لا يظن أن السلف تكلموا في هذه الأبواب⁽⁶⁾.

وكان أبو الوفا بن عقيل (ت: 513هـ) بارعاً في الكلام، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار⁽⁷⁾.

ويذكر عن حماد بن مسلم الرحبي الدباس الصوفي (ت: 525هـ) أحوال ومكاشفات واطلاع على مغيبات وكان عرياً من العلوم الشرعية⁽⁸⁾. والشهرستاني (ت: 548هـ) لم يكن له خبرة بالحديث وآثار الصحابة والتابعين⁽⁹⁾.

وبالجملة فأهل البدع لا يذكرون الحديث، بل ولا القرآن، في أصولهم إلا للاعتضاد لا للاعتقاد⁽¹⁰⁾.

ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبر بقلبه: وجد فيه من الفهم والحلاوة والهدى وشفاء القلوب، والبركة والمنفعة، ما لا يجده في

(1) السير (471/18).

(2) السير (524/11).

(3) سير أعلام النبلاء (59/18).

(4) المنتظم، لابن الجوزي (126/17).

(5) البداية والنهاية (214/16).

(6) درء تعارض العقل والنقل (31/7).

(7) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (487/2).

(8) المنتظم (266/17).

(9) منهاج السنة النبوية (319/6).

(10) منهاج السنة (37/7).

شيء من الكلام: لا منظومه ولا منثوره⁽¹⁾.

ولو تأملت حديث المنحرفين في السنوات الأخيرة ممن يكتبون في الصحف والمنتديات تجده خالياً عن العلوم الشرعية لأن حفظ نصوص الوحيين والتفقه فيهما يحتاج إلى تطلب وجهاد، فاتجهوا إلى الفلسفة فأخذوا بطرف منها، فتحدثوا بما يجهله الناس مع تزويق الكلام وتحسينه بألفاظ غريبة ومفردات حوشية فاغترروا بهم وظنوا أنهم على شيء وهم جهلة بالمنقول والمعقول.

وهذا شأن أهل الأهواء في القديم أيضاً، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **M أصبح أهل الرأي أعداء السنن، أعتبهم الأحاديث أن يعوها، وتفلنت منهم فلم يعوها فقالوا بالرأي**⁽²⁾.

ومن آتاه الله علماً وإيماناً، علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هو دون مستوى تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل⁽³⁾. وهم بالحديث في الفلسفة وذكر أسماء الفلاسفة يجذبون من يبهره الجديد فينخدع بهم ويعظمهم، وهذا شأن المبتدعة في القديم أيضاً، فعن عبدالواحد بن زيد قال: (قال لي أيوب: قل للثوري لا تصحب عمرو بن عبيد. قال: فقلت ذلك له، قال: **إني أجد عنده أشياء لا أجدها عند غيره، فقلت ذلك لأيوب، فقال لي أيوب: من تلك الأشياء أخاف عليه**)⁽⁴⁾.

ومن صور الإعراض عن الوحي تقديم العقل على النقل، وهذا أول ضلال وقع في الخلق، قال الشهرستاني: (إن أول شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر..⁽⁵⁾

وكلّ من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربّه حيث قال: **چپ پینت ننت چ [الأعراف: 12]**⁽⁶⁾.

ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقلیات.. ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين،

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (284/1).

(2) أخرجه ابن بطة في الإبانة الصغرى، ص (121).

(3) مجموع الفتاوى (436/7).

(4) حلية الأولياء (33/7).

(5) الملل والنحل (16/1).

(6) شرح الطحاوية ص (169).

كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم..(1).
قال ابن تيمية (ت:728هـ): (من عارض آيات الله بمعقوله، فإنه لا علم عنده، إذ ذلك المعارض، وإن سماه معقولاً، فإنه جهل وضلال، فليس بعلم ولا عقل ولا هدى..).

وربما ظنّ البعض أن عند هؤلاء المنحرفين من موافقة العقل ما ليس عند المعظمين للنصوص، وهذا ظن فاسد، إذ اتباع النص موافق للعقل (ومن كان إلى السنة أقرب كان قوله إلى العقل أقرب)(2).

ووقع أناس في الشره والبحث عن كل جديد ولو كان ضاراً أو لا فائدة فيه فأقبلوا على كتب المنحرفين المعاصرين ككتب الجابري ومحمد أركون ومحمد صادق العظم وسيد القمني وعزيز العظمة وعبدالله العروي وحسن حنفي وبرهان غليون ممن هونوا من شأن النص الشرعي وسموه تراثاً وعملوا على نقده ومعارضته بالعقل(3).

والحديث عن التهوين من النص ومعارضته بالعقل ليس حديثاً عن الماضي، وإنما حديث عن الواقع، حيث هو أحد وجوه الزندقة التي ظهرت في المجتمع أخيراً... ولن أطيل عليك في ذكر الأمثلة والشواهد على هذا، ولكنني سأكتفي بمثال واحد:

تقول كاتبة: (لأننا جبلنا على الإيمان بالازدواجية وبممارسات لا عقلانية تفرق بين الأمر ونقيضه في الآن ذاته بدون نقاش... لكن الأمر أكثر نكرة من مجرد الازدواجية بين المفاهيم والتصرفات، هو وجود مفارقة بين حديثين متناقضان(كذا)، فالعقل هنا لا بد أن يتساءل: وأين الصحيح من العليل؟ فمقابلة حديث [الجنة تحت أقدام الأمهات] بحديث [أكثر أهل النار النساء]، يوقع في ازدواجية معاييرية وإنسانية...!!!)(4).

(1) درء التعارض (244/5).

(2) منهاج السنة (341/2).

(3) ينظر:

- التراث والحداثة، محمد الجابري، ص(61-60).

- قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص(59-28).

- نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، ص(16-12).

- الأسطورة والتراث، سيد القمني، ص(220).

- دنيا الدين، عزيز العظمة، ص(23-18).

- السنة والإصلاح، عبدالله العروي، ص(38) وما بعدها.

- من النقل إلى العقل، حسن حنفي (25/2).

- التراث والتجديد، حسن حنفي، ص(179).

- اغتيال العقل، برهان غليون، ص(127) وما بعدها.

(4) مقال بعنوان: (يمر من تحت قدميها للجنة... ويعقها)، صحيفة الرياض، حصة آل

وهذا لا يعني تعطيل العقل وعدم الاستفادة منه، بل كمال العقل نعمة من نعم الله على العبد، يتقي به مواضع الزلل، ويوازن بين الأمور، ويجتنب ما فيه عطبه وهلاكه⁽¹⁾.

ولهذا أثنى على كثير من السلف لكمال عقولهم ورجحان فهمهم.

قال الوثيق بن يوسف: ما رأيت رجلاً قط أعقل من عبيد الله بن الحسن بن الحسين العنبري (ت: 168هـ)⁽²⁾.

وقال عبدالرحمن بن مهدي: (ما رأيت رجلاً أحسن عقلاً من مالك (ت: 179هـ))⁽³⁾.

وقال إبراهيم بن شماس: (لو تمنيت كنت أتمنى عقل ابن المبارك (ت: 181هـ))⁽⁴⁾.

وسئل عبدالله بن المبارك (ت: 181هـ): ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: (غريزة عقل)⁽⁵⁾.

وقال الإمام أحمد بن حنبل في وصف الإمام المحدث محمد بن شعيب (ت: 199هـ): (كان رجلاً عاقلاً)⁽⁶⁾.

وقال آدم بن أبي إياس: ما رأيت أحداً أعقل لما يخرج من رأسه من ضمرة بن ربيعة (ت: 179هـ)⁽⁷⁾.

وقال أبو عبيد: (ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي (ت: 204هـ))⁽⁸⁾.

وقال الذهبي عن سحنون (ت: 240هـ): (كان موصوفاً بالعقل والديانة التامة والورع)⁽⁹⁾.

وقال الإمام الشافعي: (ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل

الشيخ، العدد (15837)، التاريخ (1432/12/7هـ).

(1) عن موقف أهل السنة من العقل، ينظر:

- مذهب أهل التقويض في نصوص الصفات، أحمد القاضي، ص (456).

- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، ص (29).

- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان حسن (155/1).

(2) تاريخ مدينة السلام (8/12).

(3) سير أعلام النبلاء (388/8).

(4) سير أعلام النبلاء (151/9).

(5) سير أعلام النبلاء (397/8).

(6) سير أعلام النبلاء (377/9).

(7) سير أعلام النبلاء (327/9).

(8) سير أعلام النبلاء (15/10).

(9) سير أعلام النبلاء (64/12).

(ت:241هـ))⁽¹⁾.

وقال أيضا: (ما رأيت بمصر أعدل من أبي موسى يونس بن عبدالأعلى المصري(ت:264هـ))⁽²⁾.

وقال إبراهيم الحربي: (لو قُسم عقل بشر بن الحارث - العالم المحدث- (ت:227هـ) على أهل بغداد صاروا عقلاء)⁽³⁾.

وهؤلاء المعرضون عن الوحي تلاوةً وتعظيماً وتدبراً وتحاكماً أظلمت قلوبهم فاستوحشت من الحق وأهله، وألفت الباطل وأهله.

فإن القلب إذا استنار أقبلت وفود الخيرات عليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان، فما شئت من بدعة وضلالة واتباع هوى واجتناب هدى وإعراض عن أسباب السعادة واشتغال بأسباب الشقاوة فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب، فإذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالأعمى الذي يجوس في حنادس الظلام⁽⁴⁾.

(1) سير أعلام النبلاء (195/11).

(2) مرآة الجنان (131/2).

(3) سير أعلام النبلاء (276/13).

(4) الجواب الكافي، ص(126).

والنهي عن المعروف ليس من الكلم الطيب والعمل الصالح(1).
وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا
يمكن لأحد منهم أن يبدل شيئاً من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما
بدله، فلا تجتمع الأمة على ضلال(2).
وهذه الأمة أجمعت على مسائل الاعتقاد في أبواب الإيمان بالله
وتوحيده في أسمائه وصفاته وعبادته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومعرفة فضل الصحابة وتعديلهم.
وخالفتها في هذه المسائل الكبار فرق المبتدعة من الجهمية والمرجئة
والخوارج والرافضة.
وهؤلاء المنحرفون وقعوا في الانحراف والزيغ لما فارقوا سبيل
المؤمنين وخالفوا إجماع الأمة.
وفي زماننا خرج من يعارض إجماع الأمة في باب الإيمان، فظهر
من يقول برأي الخوارج: تكفيراً للمسلمين بغير حق. وقابلتهم جماعات
ذهبت إلى الإرجاء بأنواعه من إخراج العمل عن مسمى الإيمان، والقول
بأنه لا كفر إلا بالاستحلال القلبي، وعدم تكفير اليهود والنصارى تورعاً
زعموا!! وخرجت مقالات في الطعن في سلف هذه الأمة من الصحابة
رضي الله عنهم... إلخ(3).

(1) الاستقامة، لابن تيمية (206-207/2).

(2) منهاج السنة، لابن تيمية (467/6).

(3) ينظر: التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه، فتاوى لجنة الإفتاء
بالمملكة، ص(7).

ثالثاً

الأخذ بالفلسفة وتعظيم الفلاسفة

دين الإسلام مصدر الوحي (الكتاب والسنة) بفهم الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم وفي هذا الهدى والفلاح في الدنيا والآخرة، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون بعد ذلك ديناً، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا الْوَيْدَ الَّذِي نَزَّلْنَا بِالْوَحْيِ فَذَرُوا مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن دُونِ الْوَحْيِ ۚ إِن كَانُوا لَيَحْكُمُونَ أَهْلَهُمْ بِغَيْرِ طَرِيقٍ ۚ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَسَوْفَ نَذُنُّهُمُ مِنَ الرَّحْمَةِ فَذَرُوهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ ۚ﴾ (سورة القصص: 26-28) ولذا لما ابتغى طوائف من الناس الهدى من غير طريق الوحي حذَّروهم سلف الأمة، ومن ذلك تحذيرهم رحمهم الله من الدخول في الفلسفة والمنطق والتلقِّي عن أهل الكلام، وكلامهم في هذا كثير يصعب استقصاؤه بل أفردوا في ذلك مصنفات عديدة كذب الكلام وأهله للهروي، وصون المنطق والكلام عن علم المنطق والكلام للسيوطي وغيرها..

وقد اتفق السلف والأئمة على ذمه ودم أصحابه وتجهيلهم⁽¹⁾.

قال القاضي أبو يوسف (ت: 182هـ): (العلم بالخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم)⁽²⁾.

وقال أيضاً: (من طلب الدين بالكلام تزندق..)⁽³⁾.

وقال الإمام عبدالرحمن بن مهدي (ت: 198هـ): (من طلب الكلام فأخر أمره الزندقة)⁽⁴⁾.

(1) بيان تلبيس الجهمية (139/1).

(2) سير أعلام النبلاء (539/8).

(3) تذكرة الحفاظ (1266/4).

(4) سير أعلام النبلاء (199/9).

أنه لا يشفي غليلاً، ثم يرد الصحيح غليلاً، فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه(1).

وقلّ من أمعن النظر في علم الكلام إلا وأداه اجتهاده إلى القول بما يخالف محض السنة، ولهذا ذمّ علماء السلف النظر في علم الأوائل، فإن علم الكلام مولد من علم الحكماء الدهرية، فمن رام الجمع بين علم الأنبياء عليهم السلام وبين علم الفلسفة بذكائه لا بد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء(2). وكان أئمة السلف، لا يرون الدخول في الكلام، ولا الجدل، بل يستقرغون وسعهم في الكتاب والسنة، والتفقه فيهما، ويتبعون، ولا يتنطعون(3).

وهؤلاء المنحرفون الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك، وأن طريقة الخلف استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات(4).

والدخول في كلام المتكلمين أو الفلاسفة شر محض، وقلّ من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطّخ ببعض أوضارهم(5).

والفلسفة والمنطق ليس علماً معصوماً، بل لو كان علماً صحيحاً كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله أضعاف حقه، وفساده وتناقض أصوله واختلاف مبانيه توجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فكره؟! وهذا الشافعي وأحمد وسائر أئمة الإسلام وتصانيفهم، وأئمة العربية وتصانيفهم، وأئمة التفسير وتصانيفهم، لمن نظر فيها؛ هل راعوا حدود المنطق وأوضاعه؟ وهل صح لهم علمهم بدونه أم لا؟! بل هم كانوا أجل قدراً وأعظم عقولاً من أن يشغلوا أفكارهم بهذيان المنطقيين. وما دخل المنطق على علم إلا أفسده، وغيّر أوضاعه، وشوّش قواعده(6).

ومن ضلّ في القديم من رؤوس البدع وأصحاب المقالات فإنما بسبب الأخذ عن الفلاسفة.

فتلقى (غيلان الدمشقي) (ت:105هـ) رأس القدرية مذهبه في القدر

(1) تلبيس ابليس، ص(80).

(2) الميزان، الذهبي (3/144).

(3) سير أعلام النبلاء (12/120).

(4) الحموية، ص (204).

(5) فضل علم السلف على الخلف، ص (32).

(6) مفتاح دار السعادة (1/445-449).

عن سوسن أو سنسويه النصراني.
وأخذ (الجعد بن درهم) (ت: 118هـ) عن الصابئة الفلاسفة فكان
رأساً في الضلال وإماماً فيه.
وأخذ (الجهم بن صفوان) (ت: 128هـ) فلسفته عن بعض فلاسفة
الهند - وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات - فكان إمام
الجهمية في ضلالهم.
وعني (الخليفة العباسي المأمون) (ت: 218هـ) بالفلسفة وعلوم
الأوائل ومَهَرَ فيها، فجره ذلك إلى القول الباطل بل الكفر وهو القول
بخلق القرآن⁽¹⁾.
ودخل (أبو نصر الفارابي) (ت: 339هـ) حرّان وأخذ عن فلاسفة
الصابئين تمام فلسفته.
وارتحل (أبو العلاء المعري) (ت: 449هـ) إلى اللانقية ونزل ديراً
به راهب متفلسف، فدخل كلامه في مسامع أبي العلاء، وحصلت له شكوك
لم يكن له نور يدفعها، فحصل له نوع انحلال دلّ عليه ما ينظمه ويلهج
به⁽²⁾.
وعُني (ابن حزم) (ت: 456هـ) بعلم المنطق وبرع فيه ثم أعرض
عنه وما أعرض عنه حتى زرع في باطنه أموراً وانحرافاً عن السنة⁽³⁾.
ووقع في نفي الصفات مع تعظيمه للحديث والسنة بسبب أنه أخذ أشياء من
أقوال الفلاسفة والمعتزلة عن بعض شيوخه ولم يتفق له من يبين له
خطأهم⁽⁴⁾.
وتلقّى (أبو حامد الغزالي) (ت: 505هـ) عن الفلاسفة، فدخل في
أجوافهم ولم يخرج منها⁽⁵⁾.
ومال (محمد بن عبدالكريم الشهرستاني) (ت: 549هـ) إلى الإلحاد
وتخبط في الاعتقاد لإعراضه عن علم الشرع واشتغاله بظلمات الفلسفة⁽⁶⁾.
واطلع (صدقة بن الحسين بن الحسن الحداد) (ت: 573هـ) على
كتاب الشفاء لابن سينا فتغيّر فكان يرمز إلى إنكار بعث الأجسام ويميل إلى

(1) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص(413).

(2) سير أعلام النبلاء (26/18). البداية والنهاية (747/15).

(3) سير أعلام النبلاء (188/18).

(4) منهاج السنة النبوية (584/2).

(5) البداية والنهاية (361/16).

(6) السير (288/20).

مذهب الفلاسفة وتارة يعترض على القضاء والقدر⁽¹⁾.

وأقبل العلامة الفيلسوف (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي) (ت: 595هـ) على علوم الأوائل وبلاياهم حتى صار يضرب به المثل في ذلك حتى نسبت إليه أقوال رديّة⁽²⁾.

وقرأ الأصولي الفيلسوف (فخر الدين إسماعيل بن علي بن الحسين المأموني الحنبلي) (ت: 610هـ) المنطق والفلسفة على (ابن مرقش النصراني) فكان يتردد على البيعة لأجل ذلك. وصنّف كتاب: (نواميس الأنبياء) يذكر فيه أنهم كانوا حكماء كهرمس وأرسطو، وكان متسامحاً في دينه، ويقع في رواة الحديث، ويقول: هم جهال لا يعرفون العلوم العقلية، ولا معاني الحديث الحقيقية، بل هم مع اللفظ الظاهر⁽³⁾.

وتفتن العلامة المتكلم (سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الأمدي) (ت: 631هـ) في حكمة الأوائل فرّق دينه وأظلم⁽⁴⁾.

وكان من أسباب ضلال العلامة الأصولي الفيلسوف قاضي القضاة أبو حامد عبدالعزيز بن عبدالواحد الجيلي الشافعي (642هـ) أن أمعن في علم الأوائل فأظلم قلبه وقالبه⁽⁵⁾.

وكان (الفخر بن البيديع البندهي) (ت: 657هـ) يتعاطى الفلسفة والنظر في علم الأوائل، فأفسد عقائد جماعة من الشباب المشتغلين⁽⁶⁾.

واشترى (محيي الدين النووي) (ت: 676هـ) كتاب القانون (لابن سينا)، قال: فأظلم علي قلبي، وبقيت أياماً لا أشتغل بشيء فتفكرت، فإذا هو القانون فبعته في الحال⁽⁷⁾.

وبعد هذا:

تأمل ما جرّ المنطق على أهله، من البلايا والمحن، وما أوقعهم فيه من التعطيل، والريب، والفتن، فكيف يستجيز من له أدنى عقل، أو دين، أن يقرأ كتب المنطق وعلوم اليونان؟ ويدع الاشتغال بعلوم السنة والقرآن؟! وهل هذا إلا زيغ في القلوب، ومثل هذا لا يوفق لطلب العلم، من كتاب الله

(1) المنتظم (243/18).

(2) السير (308/21).

(3) السير (29/22).

(4) السير (364/22).

(5) السير (109/23).

(6) الذيل على الروضتين (135/1).

(7) مرآة الجنان، اليافعي (138/4).

وفهمه(1).

ومن كان عليماً بهذه الأمور: تبين له بذلك حنق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزد إلا بعداً(2).

ويُتَّبَع علم الفلسفة في إفساد العقائد وتحريم الإطلاع عليها كثير من العلوم.. فالعلم الذي يحرم تعلمه ونشره علم الأوائل وإلهيات الفلاسفة وبعض رياضتهم، بل أكثره، وعلم السحر، والسيمياء، والكيمياء(3)، والشعبذة، والحيل، ونشر الأحاديث الموضوعة، وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة، وسيرة البطالين المختلفة، وأمثال ذلك، ورسائل إخوان الصفا، وشعر يعرض فيه إلى الجنب النبوي، فالعلوم الباطلة كثيرة جداً فلتحذر، ومن ابتلي فيها بالنظر للفرجة والمعرفة من الأذكياء، فليقلل من ذلك، وليطالعه وحده، وليستغفر الله تعالى، وليلتجئ إلى التوحيد، والدعاء بالعافية في الدين..(4).

فاياك - أيها الموفق - وكتب الفلاسفة والمناطقة والباطنية وأهل الكلام فإنها داء عضال، وجربٌ مُرْدٍ وسم قتال، فالحذر الحذر من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز، فليزِم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام وأن يتوقى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين(5).

وعليك أخي بتدبر كتاب الله، وإدمان النظر في الصحيحين وسنن النسائي ورياض النواوي وأذكاره تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة(6).

ومن أعرض عن القرآن والسنة وعلومهما وأكب على كتب المنحرفين من الفلاسفة وغيرهم يوشك أن يهلك ويزيغ، وقرأ قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ كُلُّ مَسْجِدٍ لِلَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** [الصف:5]، وقوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ كُلُّ مَسْجِدٍ لِلَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** [التوبة:127]. فإن فيهما أعظم رادع عن ذلك.

(1) الدرر السنية (342/2).

(2) الحموية، ص(553).

(3) المراد به نوع من السحر وليس العلم المعروف في عصرنا.

(4) سير أعلام النبلاء (604/10).

(5) سير أعلام النبلاء (328/19).

(6) سير أعلام النبلاء (340/19).

وفي زماننا ثقلت النصوص على طائفة، وأعياهم حفظها، وزهد أقوام في العلوم الشرعية، فراجت مقالة ضالة تدعو إلى قراءة الفلسفة وتعلمها⁽¹⁾ وتدريسها في الجامعات الشرعية⁽²⁾، فأقبل بعض الناشئة على كتب الفلاسفة⁽³⁾، وأصبحوا يتزینون بها في مقالاتهم ومطاراتهم، وهذا مورد هلاك وفتنة.

ومما لاحظته أن صحيفة (الرياض) على وجه الخصوص تسعى إلى نشر الفكر الفلسفي من خلال عرض كتب الفلاسفة والكتابة عنها، ففي السنوات الأخيرة كتبت الكثير من ذلك⁽⁴⁾.

ويدعو بعض (الأكاديميين) طلابهم إلى قراءة الفلسفة والنظر فيها، وهم بهذا غشوه ولم ينصحوا لهم.

وأصدق وصف للفلسفة أنها طعام فسد وتغير وأنتن، يؤدي بمن أكله إلى السقم أو الهلاك.

وإذا كان السلف قرروا تحريم النظر في كتب أهل الكلام⁽⁵⁾، فإنه ينسحب على سائر كتب الضلال.

وإن المسلم ليشتد ألمه عندما يرى الناشئة تقبل على كتب المنحرفين والضلال، ويعجب ممن ينشد المعرفة في كتب: محمد الجابري وأركون ونصر أبو زيد وعلي حرب وجمال البنا وغيرهم من رؤوس الضلال والانحراف.

فما يكتبه هؤلاء المنحرفون لا يستحق أن يقرأ فضلاً عن أن يعظم أو يفاد منه، إذ يقوم على أصلين:

الأصل الأول: عدم اعتبار الوحي أصلاً للمعرفة.

(1) عرضت قناة الإخبارية في يوم الخميس الموافق (1428/4/2هـ) في برنامج (آفاق ثقافية) حلقة بعنوان: (الفلسفة والفكر الديني وممانعة الفكر الديني للفلسفة).

(2) طالب (علي الشدوي) في محاضرة له في نادي حائل الأدبي بتدريس الفلسفة في التعليم العالي. صحيفة الرياض العدد (14925)، التاريخ (1430/3/10هـ).

(3) تعقد حلقة (فلسفية) أسبوعية في نادي الرياض الأدبي.

(4) ينظر مثلاً: مقال بعنوان: (الاغتراب في حياة ابن بلج)، العدد (15025)، التاريخ (1430/8/22هـ).

(5) مقال بعنوان: (التأسيس الفلسفي للأخلاق)، العدد (15004)، التاريخ (1430/8/21هـ).

(6) عرض لكتاب (محاورة ديكرت)، العدد (14752)، التاريخ (1429/11/15هـ).

(7) ينظر: تحريم النظر في كتب الكلام، لابن قدامة، ص(41).

الأصل الثاني: رفض الوحي مهيمناً على الحياة.

وقرأت طائفة في زماننا في كتب الفلاسفة فضلت عن سواء السبيل، فقرأ (منصور النقيدان) كتب الجابري كما ذكر عن نفسه⁽¹⁾ وقرأ أيضاً في كتب الفلسفة وتاريخ الفلاسفة⁽²⁾. واطلع (منصور الهجلة) على الفلسفة وكتب مقالات فيها⁽³⁾، وقرأ (نواف القديمي) فيها أيضاً⁽⁴⁾. واطلع (إبراهيم البليهي) على كتبهم⁽⁵⁾. وهؤلاء وغيرهم لم يخرجوا من الفلسفة والقراءة فيها إلا بشكوك وأوهام زادتهم تيهاً وضلالاً.

فمن رزقه الله بصيرة أبصر الحق والباطل عياناً بقلبه، كما يرى الليل والنهار، وعلم أن ما عداه من كتب الناس وآرائهم ومعقولاتهم: بين علوم لا ثقة بها، وإنما هي آراء وتقليد، وبين ظنون كاذبة لا تعني من الحق شيئاً، وبين أمور صحيحة لا منفعة للقلب فيها، وبين علوم صحيحة قد وعروا الطريق لتحصيلها وأطالوا الكلام في إثباتها مع قلة نفعها⁽⁶⁾.

-
- (1) صحيفة الرياض، التاريخ (2003/7/24م)، مقال بعنوان: (الكتاب حينما يكون عاملاً في صياغة التفكير).
- (2) مقابلة مع (منصور النقيدان) على قناة العربية في برنامج إضاءات، التاريخ (2004/9/15م).
- (3) ينظر مثلاً: مقال بعنوان: (قراءة في كتاب إصلاح العقل في الفلسفة العربية من واقعية أرسطو...) صحيفة الرياض، التاريخ (1427/9/13هـ)، العدد (13982).
- (4) كما شارك بورقة في ندوة في نادي حائل الأدبي بتاريخ (1428/3/22هـ) بعنوان: (الفلسفة وعلاقتها بالدين).
- (5) المحافظون والإصلاحيون، نواف القديمي، ص(251).
- (6) البليهي في حوارات الفكر والثقافة، عبد الله المطيري، ص(7).
- (7) إغاثة اللفهان (70-71/1).

رابعاً ترك الصبر المأمور به

من قرأ التاريخ، وتدبّر السير، وتأمّل أحوال الناس وجد أن من أسباب الضلال: ترك الصبر المأمور به فيقع الإنسان في الفتنة. والفتن تأخذ صوراً مختلفة، وهي تعظم في آخر الزمان، وتشتد على أهل الإيمان.

فمن تعريض الإنسان نفسه للفتنة إنكار المنكر وهو غير قادر على تحمل ما يصيبه من الأذى. إذ الأصل أن الأمر والنهي واجب في حق القادر مع أمن الفتنة، أما مع الفتنة فإن السلامة لا يعدلها شيء. سئل الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ): متى يجب علي الأمر؟ قال: إذا لم تخف سوطاً ولا عصاً⁽¹⁾.

وسئل أيضاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلم؟ قال: نعم، قال: فإن خشي؟ قال: هو واجب عليه حتى يخاف، فإذا خشي على نفسه فلا يفعل⁽²⁾. وتكون الفتنة أعظم عند الإنكار على الولاة والسلطين خاصة إذا كان الإنكار علانية وبتهييج العامة عليهم.

قيل: للإمام أحمد (ت: 241هـ): متى يجب الأمر والنهي؟ قال: ليس هذا زمان نهي، إذا غيّرت بلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، فهو أضعف الإيمان، وقال لي: لا تتعرض للسلطان، فإن سيفه مسلول

(1) مسائل الإمام أحمد برواية إسحاق بن إبراهيم، رقم (1949).

(2) كتاب الأمر بالمعروف، الخلال، ص(25).

وعصاه⁽¹⁾.

وقال وكيع بن الجراح في الأمر والنهي: مروا بها من لا يخاف سيفه ولا سوطه⁽²⁾.

ومن ترك الصبر المأمور به الخروج على ولاية الجور بالسيف عند فشو المنكر أو الاستئثار بالمال، مما يخالف المنقرر عند أهل السنة والجماعة.

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر فتولد منه ما هو أكبر منه⁽³⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728هـ): (لا تقع الفتنة إلا من ترك ما أمر الله به، فهو سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر)⁽⁴⁾.

يقول ابن خلدون (ت: 808هـ): (ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء، فإن كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله، فيكثر أتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغاء والدهماء، ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون في تلك السبل مأزورين غير مأجورين لأن الله لم يكتب عليهم ذلك)⁽⁵⁾.

وقد خرج أقوام في التاريخ على ولاية الجور فأحدثوا فتناً عظيمة أضرت بهم وبالعامّة، وبعض هؤلاء ندم وأسف على ذلك.

قال ابن تيمية (ت: 728هـ): (ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان؛ إلا وكان خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته)⁽⁶⁾. فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنياً⁽⁷⁾.

ففي سنة (63هـ) كانت وقعة (الحرّة)، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا (يزيد بن معاوية)، فأرسل لهم (مسلم بن عقبة) فنزل شرقي المدينة

(1) مسائل الإمام أحمد برواية إسحاق بن إبراهيم، رقم (1956).

(2) كتاب الأمر بالمعروف، للخلال، ص(29).

(3) إعلام الموقعين (6/3).

(4) الاستقامة (39/1).

(5) مقدمة ابن خلدون، ص (280).

(6) منهاج السنة النبوية (391/3).

(7) منهاج السنة النبوية (528/4).

في (الحرّة)، فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً فهزم أهل المدينة إليها، ثم أباحها (مسلم بن عقبة) ثلاثة أيام، وقتل خلقاً من أشرفها وقرائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شر عظيم وفساد عريض، وقتل سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف ممن لا يعرف من حر وعبد.

وقد وقع في هذه الأيام الثلاثة من المفاصد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله عز وجل (1).

وكان (عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث) (ت: 84هـ) أميراً على (سجستان)، بعثه (الحجاج)، فثار هناك، وأقبل في جمع كبير وقام معه علماء وصلحاء لما رأوا على (الحجاج) من إماتة الصلاة، فقاتله (الحجاج) ودامت الحرب أشهراً، وقتل خلق من الفريقين، ثم انهزم (ابن الأشعث) ومن معه، وقتل (الحجاج) منهم خلقاً كثيراً من القراء وغيرهم من خيار الناس، وغرق كثير منهم، ولما جاء (الحجاج) إلى معسكرهم قتل منهم نحواً من أربعة آلاف، ثم تتبعهم، حتى قيل: إنه قتل منهم بين يديه صبراً مائة وثلاثين ألفاً كان آخرهم التابعي الجليل (سعيد بن جبير)، ثم لاذ (ابن الأشعث) إلى رتبيل أمير الترك وكان كافراً، فسلمه (رتبيل) إلى (الحجاج)، فلما قرب (ابن الأشعث) من (العراق) ألقى نفسه من قصر خراب أنزلوه فيه فهلك (2).

قال أيوب: (لا أعلم أحداً قتل - يعني مع ابن الأشعث - إلا وقد رغب له عن مصرعه، ولا نجا إلا قد ندم على ما كان منه) (3).

وخرج (يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة) (ت: 102هـ) على (يزيد بن عبدالملك)، وغلب على (البصرة)، فأتبعه الرعاع، فسار لحربه (مسلمة بن عبدالملك)، فقاتل (يزيد) قتالاً عظيماً وتفالت جموعه، فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد، بل شجاعة وحمية، حتى ذاق حُمامه، نعوذ بالله من هذه القنلة الجاهلية (4).

وتواعد (محمد بن فروخ الفارسي المالكي) (ت: 175هـ) مع قوم للخروج على الأمير، فذهب (ابن فروخ) لمكان الموعد وتخلفوا، فلم يوافه منهم إلا رجلاً فرجع. وكان (ابن فروخ) يرى الخروج على أئمة الجور،

(1) البداية والنهاية (614-627/11).

(2) السير (183/4). البداية والنهاية (309/12).

(3) أخرجه ابن سعد (188/7).

(4) السير (506/4).

إذا اجتمع ممن يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدة أهل بدر، فلما خرج إلى (مصر) وشيَّعه الناس التفت إلى من شيَّعه، فقال: اشهدوا أنني رجعت عما كنت أقول به من الخروج على أئمة الجور، وتائب إلى الله منه⁽¹⁾.

وفي سنة (202هـ) هاج أهل (ربض قرطبة) على (الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية الأموي) (ت:206هـ) أمير (الأندلس)، وقد اختلفت الروايات في سبب قيام الناس و هيجهم، فمنهم من يقول: إن ذلك الهيج كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ثم ضرورة من إجحاف في مال، ولا انتهاك لحرمة، ولا تعسف في ملكه، والحال تدل على صحة ذلك: فإنه لم يكن على الناس وظائف، ولا مغارم، ولا سُخْر، ولا شيء يكون سبباً لخروجهم على السلطان، بل كان ذلك أشراً وبطراً، وملاً للعاوية، وطبعاً جافياً، وعقلاً غيبياً، وسعيّاً في هلاك أنفسهم، أعادنا الله من الضلال والخذلان، وأسباب البوار والخسران.

ولما هاجوا وقاوموا السلطان، ناصبهم (الحكم بن هشام) القتال، وواضعهم الحرب، فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وتتبعهم في الأزقة والطرق يقتلهم، ونجا منهم من تأخر أجله ففر فلم يلو على أهل ولا ولد، وأخذ منهم ثلاثمائة رجل، فصلبوا، وكان منهم علماء ومحدثون⁽²⁾.

وخرجت الجماعة الإسلامية سنة (1402هـ) وقتلت (السادات) رئيس مصر فجاء (حسنى مبارك)، فكان نعمةً وعذاباً عليهم، فأعدم مائة منهم بأحكام استثنائية، وألفين منهم أعدموا بطريقة غير قانونية، وهذا كلام الدكتور (ناجح إبراهيم) من رموز الجماعة الإسلامية الذي أكد أن قتل السادات كان خطأ ولم يكن صواباً وأنه أضر بالدعوة الإسلامية، وقد كانت تعيش حرية قبل قتله⁽³⁾.

وكثير ممن خرج على ولاة الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استثنائهم عليه، ولم يصبروا على الاستثناء. ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوب أخرى، فيبقى بغضه لاستثنائه يعظم تلك السيئات، ويبقى المُقاتل له ظناً أنه يقاتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حرّكه

(1) ترتيب المدارك، القاضي عياض (198/1).

(2) البيان المغرب (77/2-75). نفع الطيب (339/1) (639/2).

(3) مقابلة مع الدكتور (ناجح إبراهيم) في برنامج (صفحة جديدة) على قناة (لايف المصرية) يوم الثلاثاء الموافق (1432/11/27هـ).

عليه طلب غرضه: إما ولاية، وإما مال⁽¹⁾.
وبالجملّة العادة المعروفة أن الخروج على ولاية الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا⁽²⁾.
ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبين له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله، لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به⁽³⁾.

وإذا التبس الحق بالباطل، ولم يتبين الحق والصواب، وماجت الفتن بأهلها فأقبل على نفسك، والزم جادة الراغبين في السلامة: عزلةً وصمتاً.
قال حذيفة رضي الله عنه: (إياكم والفتن فلا يشخص إليها أحد، فو الله ما يشخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن، إنها مشبهة متصلة حتى يقول الجاهل هذه سنة، وتنبين مدبرة، فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم وكسروا سيوفكم وقطعوا أوتاركم)⁽⁴⁾.

وذلك أن الفتنة تمنع معرفة الحق أو قصده أو القدرة عليه، فيكون فيها من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس أو أكثرهم، ويكون فيها من الأهواء والشهوات ما يمنع قصد الحق وإرادته، ويكون فيها من ظهور قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير.

ولهذا يُنكر الإنسان قلبه عند الفتنة، فَيَرُدُّ على القلوب ما يمنعها من معرفة الحق وقصده. ولهذا يقال: فتنة عمياء صماء. ويقال: فتن كقطع الليل المظلم، ونحو ذلك من الألفاظ التي تبين ظهور الجهل فيها، وخفاء العلم⁽⁵⁾.

والفتن على وجوه كثيرة وضروب شتى قد مضى منها في صدر هذه الأمة فتن عظيمة نجا منها خلق كثير عصمهم الله بالتقوى.

وجميع الفتن المضلة المهلكة المضرة بالدين والدنيا فقد حلت بأهل عصرنا واجتمع عليهم مع الفتن التي هم فيها التي أضرموا نارها وتقلدوا عارها الفتن الماضية والسابقة في القرون السالفة فقد هلك أكثر من ترى بفتن سالفة وفتن آفة اتبعوا فيها الهوى آثروا فيها الدنيا فعلامة من أراد الله

(1) منهاج السنة النبوية (540/4).

(2) منهاج السنة النبوية (152/5).

(3) منهاج السنة (410/4).

(4) الإبانة (594/2).

(5) منهاج السنة (548/4).

فعرثرته في القول تذهب رأسه وعثرته في الرجل تترا على مهل

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **M** استكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ أو معاداً فليعدْ به⁽¹⁾.

وأسعد الناس مَنْ جُتِبَ الفتن، قال صلى الله عليه وسلم: **M** إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن⁽²⁾.

ومن أسباب الوقوع في الفتنة تصدر الصغار، وإذا رأيت جملة ممن فتنوا بأنواع الفتنة في زماننا وجدت أنهم ممن استعجلوا التصدر للتدريس أو الإفتاء أو الكلام في الشأن العام وهم بعد أحداث صغار.

ومما رآه الإنسان وبلغ به العجب غايته ما قام به (حمود بن نافع العنزري) من إنشاء سفر إلى ليبيا ليخطب في الناس هناك يدعوهم إلى طاعة القذافي متضمناً كلامه كثيراً من التلبيس والكذب والتضليل خاتماً خطبته بالدعاء للقائد القذافي بالتوفيق⁽³⁾، وهذا القذافي صدر قرار من علماء العالم الإسلامي منذ ثلاثين عاماً بتكفيره لإنكاره السنة وكلامه في القرآن الكريم⁽⁴⁾.

وإذا عرّض الإنسان نفسه للبلاء لم يأمن الفتنة، خاصة إذا عَدِمَ رسوخ القدم: علماً وعبادةً ونيةً سالحة.

ولذا فكثير ممن عرّضوا أنفسهم للبلاء والفتنة ولم يوفقوا للصبر المأمور به نكصوا على أعقابهم مدبرين وأصبحوا دعاة لما كانوا ينكرونه. فأحدهم يقول: لقد سقطت نصف قناعاتي يوم أغلق السجن باب السجن علي.

وأخر عزل من القضاء وسجن فتحول إلى بلاء وسوء فتنة، ففي برنامج (إضاءات) على قناة العربية هاجم الدعوة التجديدية الإصلاحية في هذه الجزيرة واعتبرها دعوة غالية، وقرّر أن المصدر الشرعي القضائي

(1) أخرجه البخاري (3601)، ومسلم (2886).

(2) أخرجه أبو داود (4263).

(3) خطبة أذيعت على الفضائية الليبية في شهر شعبان 1432 هـ أكثر من مرة.

(4) الرد الشافي على مفتريات القذافي، رابطة العالم الإسلامي، ص(11).

شحيح وبخيل، وأن قاعدة (سد الذرائع) كبتت الناس وحجرت عليهم!!
 ومثله من خرج في برنامج (إضاءات) على قناة (العربية) فاستنكر
 تقرير أهل العلم لقاعدة (سد الذرائع) ووصفهم بأشباه الفقهاء ووصمهم
 بضعف المعرفة، ودعا إلى إعادة قراءة كتب (قاسم أمين)، وسخر من
 كتاب: (حراسة الفضيلة)، وقرر أن (ابن تيمية) ساهم في تغذية الإرهاب.
 ورابع: عزل من القضاء فسلاً لسانه على أهل العلم تنقصاً وتجريحاً
 وصار رداءً للمنافقين في حربهم على أهل العلم والإيمان.
 وهؤلاء إنما أوتوا من جهة جزعهم وعدم صبرهم، فلو لم يدخلوا في
 الفتنة لكان خيراً لهم.

فهذا شأن المفتونين ممن تعرضوا للفتنة فلم يصبروا، أما العلماء
 الصادقون والأئمة المهديون فهؤلاء إن فتتوا صبروا، ودونك سير التابعين
 والأئمة الأربعة وغيرهم شاهدة على هذا.

ولعلك تذكر أن الشيخ التقي (عبدالله بن حسن بن قعود)
 (ت: 1426هـ) عُزل من وظيفته سنة (1406هـ)⁽¹⁾ فلم يزد ذلك إلا صبراً
 وثباتاً ولم ينقطع عن إفادة الناس تدريساً وإفتاءً، ولم يخرج رحمه الله
 رحمة واسعة في الصحف والمجلات والإذاعات ليصبح ويولول كما هو
 شأن المفتونين.

ولا تنس الشيخ الورع (عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين)
 (ت: 1430هـ) الذي عُزل من وظيفته سنة (1416هـ) فلم يزد أن اشتغل
 بالتدريس وإفادة الناس.

هذه مواقف الصادقين ومقامات الصالحين.. أتعلم لماذا؟ لأنهم قوم
 صفت نياتهم وخلصت مقاصدهم نحسبهم كذلك والله حسيبهم.

(1) مقابلة مع أبناء الشيخ (عبد الله بن قعود) في مجلة (منارات)، العدد (13)،
 التاريخ (سؤال 1426هـ).

خامساً

الاغترار بالمنحرفين والانبهار بالجديد

يؤتى بعض الناس من القدرة والمكنة فتنةً واختباراً لهم .. ما يغر بهم الناس فيتبعوهم.

فأحياناً يكون لديهم بلاغة وفصاحة وقدرة على الكلام وانطلاقة فيه، وأحياناً يكون لديهم ذكاء وفطنة، وأحياناً يكون عندهم عبادة وتنسك..

وقد تتبعت تراجم طائفة من المنحرفين في القديم فوجدت أن فيهم بلغاء فصحاء وفيهم أنكفاء وفيهم عباد متنسكون ..

أما الفصاحة والبيان فما اطلعت على ترجمة رأس من رؤوس البدعة والانحراف إلا رأيت أنه موصوف بشيء من ذلك.

يصف الذهبي (ت:748هـ) (واصل بن عطاء المعتزلي) (ت:131هـ) فيقول: البليغ الأفوه⁽¹⁾.

وقال أبو العيناء: (كان ابن أبي دواد - الداعية إلى القول بخلق القرآن - (ت:240هـ) شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً، ما رأيت أفصح منه)⁽²⁾.

ولُقِّب عبدالله بن سعيد - رأس المتكلمين في زمانه - كُلاباً لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته⁽³⁾.

وكان أبو الفتوح السهروردي الصوفي المقتول لزندقته (ت:587هـ) فصيح العبارة⁽⁴⁾.

(1) سير أعلام النبلاء (464/5).

(2) سير أعلام النبلاء (169/11).

(3) سير أعلام النبلاء (175/11).

(4) وفيات الأعيان (335/3).

ولهذا قال عمر بن الخطاب: **مَحْذَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ مَنْفِقٍ عَلِيمٍ اللِّسَانِ** (1).

أما الذكاء والفتنة فنذر أن تجد منحرفاً أو مبتدعاً وهو رأس إلا وله نصيب وافر منهما.

فالجهم بن صفوان رأس الجهمية كان صاحب ذكاء (2).

وكان عبدالله بن المقفع - أحد الزنادقة - (ت: 145هـ) يتميز بفرط الذكاء (3).

وكان بشر بن المعتمر (ت: 210هـ) شيخ المعتزلة ذكياً فطناً (4).

ووصف أبو الهذيل العلاف (ت: 226هـ): بأنه صاحب الذكاء البارع (5).

وكان الغزالي (ت: 505هـ) مفرط الذكاء فأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ومزالٍ الأقدام (6).

وكان حسن بن عدي بن أبي البركات بن مسافر شيخ الأكراد المتصوف المنحرف (ت: 644هـ) من رجال العالم دهاء (7).

وكذا سائر المبتدعة من أهل الكلام والفلسفة.. فأبو بكر الباقلاني

الأشعري (ت: 403هـ) (8) وأبو عبد الله الحلبي الأشعري (ت: 403هـ) (9)

وأبو الحسين البصري المعتزلي (ت: 436هـ) (10) وأبو جعفر السمناني

الأشعري (ت: 444هـ) (11) وأبو الفتوح السهروردي الصوفي الزنديق

(ت: 587هـ) (12) وسيف الدين الأمدي (ت: 631هـ) وابن عربي الصوفي

(ت: 638هـ) (13) وغيرهم وصفوا بأنهم أنكباء ودهاة بل يضرب المثل

(1) أخرجه أحمد (143).

(2) سير أعلام النبلاء (26/6).

(3) سير أعلام النبلاء (209/6).

(4) سير أعلام النبلاء (203/10).

(5) سير أعلام النبلاء (173/11).

(6) سير أعلام النبلاء (323/19).

(7) سير أعلام النبلاء (223/23).

(8) السير (190/17).

(9) السير (232/17).

(10) السير (587/17).

(11) السير (364/22).

(12) وفيات الأعيان (335/3).

(13) السير (48/23).

المرقعة، ويظهر عزوف النفس عن طلب الدنيا، فافتتن الناس به لما رأوا من حسن طريقتة، وكان يحضر مجلس وعظه خلق لا يحصون، ثم إنه قبل ما كان يعطى بعد امتناع شديد كان يظهره من قبل، وحصل ببغداد مالا كثيراً، ونزع المرقعة من الثياب ولبس الثياب الناعمة الفاخرة، وجرت له أقاصيص، وصار له تبع وأصحاب، ثم أظهر أنه يريد الغزو، فحشد الناس وصار معه من أتباعه عسكر كبير، ونزل بظاهر البلد من أعلاه وكان يضرب له بالطبل في أوقات الصلوات⁽¹⁾.

وكذا أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري (ت: 449هـ) كان يتزهد ولا يأكل اللحم ويلبس خشن الثياب على أنه رُمي بالإلحاد والزندقة⁽²⁾.

ودخل صدقة بن وزير الواسطي (ت: 557هـ) بغداد ولازم التقشف زائداً في الحد ووعظ فأخذ قلوب العوام بالتقشف الخارج وكان فيه ترفض⁽³⁾.

وبالجملة فالاغترار بعبادة المنحرفين دسياسة شيطانية، فابن عربي وابن سبعين وابن الفارض لهم عبادات وصدقات ونوع تقشف وتزهد، وهم من أكفر أهل الأرض⁽⁴⁾.

إذن: فالذكاء والبلاغة والزهادة والعلوم الدنيوية مهما بلغت ليست معياراً لاستقامة الرجل أو صلاح حاله فضلاً أن يكون حقيقاً بالاتباع. قال الله تعالى عن المعارضين للرسول: *لَئِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ اللَّهِ* [غافر: 83]. ويتبع الاغترار بالمنحرفين: الانبهار بالجديد الذي يهز القناعة ويضعف اليقين.

وهذا الجديد يتمثل في: شخصيات يجعلها أئمة له، أو كتب يطلع عليها، أو بلدان يسافر إليها يراها المرء الضعيف فتهد يقينيته وتكون سبباً في انحرافه.

فالانبهار بالشخصيات لقدرتها على الحديث والبيان، أو لتمكنها من علوم الآلة كالأصول والنحو أو المنطق والفلسفة، أو لسعة محفوظها وكثرة مقرونها...

أما الكتب فقد صدر كثير منها في السنوات الأخيرة في ظل الانفتاح

(1) تاريخ مدينة السلام (227/2).

(2) الأنساب (351/1).

(3) المنتظم، لابن الجوزي (154/18).

(4) مجموع الرسائل والمسائل النجدية، عبداللطيف بن عبدالرحمن (67/3).

غير المنضبط⁽¹⁾ وكان لها أثرها وتأثيرها في نشر الانحراف...

فقد صدر كتاب: (محمد بن عبد الوهاب داعية وليس نبيا) للمبتدع الخبيث: حسن المالكي، وتلقفه بعض الأغرار وأخذوا ما فيه من غثائفة وأصبحوا يرددونها في مجالسهم ومنتدياتهم وقاعات الدرس أمام طلابهم، ولقد تتبعت سيرة بعض هؤلاء المنحرفين فوجدت أنهم على ذلك، فمن كلماتهم: (دعوة بن محمد بن عبد الوهاب دعوة بدو!! محمد بن عبد الوهاب داعية وليس نبيا!! استقلت الدعوة النجدية بأفكار جديدة!! الدعوة الوهابية دعوة أعراب أجلاف!!...).

وراج بين بعضهم كتاب عنوانه: (القول التمام بإثبات أن التفويض مذهباً للسلف الكرام)⁽²⁾، من اقتناه منهم ظن أنه حاز صيداً ثميناً، فاعتقد ما فيه من الباطل وتحريف مذهب السلف. وهذا الكتاب خلط فيه مؤلفه خلطاً عجيباً ووقع في جهالات فاضحة يختصرها طالب العلم المبتدئ في سطور ثلاثة: **أولها:** عدم فهم المؤلف لمذهب السلف في الصفات - هذا مع حسن الظن-.

ثانيها: عدم التفريق بين تفويض الكيفية و تفويض المعنى. وهذا الخلط وقع فيه الدكتور يوسف القرضاوي في تقديمه للكتاب!!
ثالثها: خطؤه في نسبة مذهب السلف في الصفات إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته فحسب⁽³⁾.

ونشطت دور النشر المشبوهة في إعادة نشر كتب الملحد: (عبد الله القصيمي) التي هي تعبير عن شخصية شكّاعة ناقمة متحيرة.. فتلقّفها الشباب وظنوا فيها جديداً مفيداً!! وهل الإلحاد جديد؟! ولهذا يمنع من لا يكون عنده نقد وتمييز من النظر في الكتب التي

(1) عن الانفتاح الفكري المذموم، ينظر: الانفتاح الفكري، عبد الرحيم السلمي، ص(81).

(2) ينظر للرد على هذا الكتاب:
- عثار القول التمام، عبد العزيز آل عبد اللطيف.
- انتقاد القول التمام، إبراهيم الحماد.
- القول التمام.. عرض ونقد، الدرر السنية.

(3) قال شيخ الإسلام: (ومعلوم أن أئمة الجهمية النفاة والمعتزلة وأمثالهم، من أبعد الناس عن العلم بمعاني القرآن والأخبار وأقوال السلف، وتجد أئمتهم من أبعد الناس عن الاستدلال بالكتاب والسنة، وإنما عمدتهم في الشرعيات على ما يظنونهم إجماعاً، مع كثرة خطئهم فيما يظنونهم إجماعاً وليس بإجماع..). درء التعارض (29/7).

يكثر فيها الكذب في الرواية والضلال في الآراء ككتب أهل البدع(1).
ومن نوافذ الانبهار عند ضعفاء اليقين والبصيرة: السفر إلى الخارج،
يشاهد هناك أحوالاً وطرائق وعادات تخالف ما نشأ عليه وعرفه من الدين
الحق فيشك فيه ويستنكره ويرجع بغير الوجه الذي ذهب به، ويصل به
الحال إلى أن يتهم العلماء بأنهم غيّبوه عن الواقع أو كانوا مغرقيين في
المحلية، ولم يفتحوا على الأقوال والأحوال الأخرى.

ولعلك تذكر أن أحدهم أصدر فتوى يهون فيها من شأن تغطية الوجه
للمرأة بحجة أن تسعين بالمائة من نساء العالم الإسلامي لا يغطين
وجوههن!!(2) وهل الحكم الشرعي يبني على عدد من التزم به أو تركه؟!
ويصوّر لك الأمر مقالة أحدهم التي جاء فيها: (لقد وجدت الصحوة
نفسها في قلب عالم مليء بالمتغيرات والمنتاقضات فبينما كانت مسارات
التلقي في الماضي تنحصر ما بين شريط كاسيت مدعوم، وكتيبات
موزعة توزيعاً مدروساً وآخر عشوائياً، وفتاوى محصورة بشخصيات
علمية وأخرى دعوية، إذ بالأبواب تفتح وتفتاحاً الصحوة بمثل ما فوجئت
به عند حديثي لأحد الأصدقاء عندما رأيت ثوبه طويلاً، فقلت له بهدوء
عبارة الفاروق: ارفع ثوبك... فضغط على زر في جهازه الصغير، وفتح
لي ملفاً مليئاً بأقوال الفقهاء الأقدمين والمعاصرين عن الخلاف في هذه
المسألة، مخرج الأحاديث، محقق الأقوال!! وهنا مربط الفرس كما
يقال(3).

وبشر عن بوادر التمرد على الطرائق النمطية في الدعوة، أو
الانصياع لفتوى مقننة(4).

بل إن أحد المفتونين بالجديد، سألتني ذات مرة؟ هل سافرت؟ ولم لم
تتغير؟ والجواب أن السفر زادني يقيناً بالحق الذي هديت إليه والحمد لله
على نعمته وأسأله الثبات حتى الممات فإنه لا هادي ولا عاصم إلا هو
سبحانه.

رأيت الجهل والخرافة والشرك الذي وضع العقل تحت الأقدام
فحمدت الله على نعمة التوحيد والسنة.
ورأيت آثار الاختلاط بين الجنسين في أماكن العمل والتعليم فتأكد

(1) منهاج السنة (468/2).

(2) صحيفة الوطن، العدد (1309)، التاريخ (1425/2/26هـ-16/4/2004م).

(3) رؤية تطويرية للصحوة السعودية، علي العمري، ص(9).

(4) المصدر السابق، ص(11).

عندي ضرره وبان أثره.
ورأيت كيف جعل التبرج والسفور من المرأة سلعة رخيصةً محلاً
للمتعة الحرام فتيقنت بوجوب الستر وصيانتها للمرأة من الابتذال.
ورأيت كيف دخل على العلم الشرعي دخلاء لا علم ولا عمل
فَحَمَدْتُ حال علمائنا الراسخين الذين هم على جادة السلف الصالح: عقيدة
وعبادة وسلوكاً.

سادساً ظهور الشعارات وتعدد الرايات

في كل فترة من الزمن ترتفع رايات وتظهر شعارات لكل راية منهج ولكل شعار سبيل.

وهنا لابد للعبد أن يزن الأمور بميزان الشرع، وينظر في أساساتها ومآلاتها، والداعين إليها: أحوالاً وسيرة، وليستفد من عقله في تقويمها والبصّر في حسناتها وسيئاتها.

قال بعض الحكماء: المؤمن الكيس شديد الحذر على نفسه، يخاف على عقله من الآفات من الغضب والهوى والشهوة والحرص والكبر والغفلة، وذلك أن العقل إذا كان هو القاهر الغالب ملك هذه الأخلاق الرديئة، وإذا غلب على العقل واحدة من هذه الأخلاق أو رثته المهالك، وأحلت به النعمة وعَدِمَ من الله حسن المعرفة⁽¹⁾.

ففي القديم ظهر من يدعي الألوهية أو النبوة أو المهديّة أو الإصلاح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو يدعو إلى دعوة مخلّطة لا معنى لها، فتبعهم الهمج والرعاع، وأحياناً تزل أقدام بعض أهل العلم فيغترون بهم.

فقد خرج (محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب) (ت: 145هـ) على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وكانت ثورته في (المدينة)، فسَجَنَ متولّيها وصار له شأن، ثم قُضِيَ عليه⁽²⁾. ونهض معه الإمام المحدث العلامة (أبو محمد عبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن المخرمي) (ت: 170هـ) وظنّه المهدي، ثم إنه ندم فيما بعد،

(1) تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي (59/2).

(2) تاريخ الطبري (422/4) الكامل (563/3).

وقال: لا غرني أحد بعده(1).

وذكر أن (سهل بن سلامة المطوعي) (ت:202هـ) كان مقيماً ببغداد، يدعو إلى العمل بالكتاب والسنة، فلم يزل كذلك حتى اجتمع إليه عامة أهل بغداد ونزلوا عنده، وصار ومن معه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولكنهم جاوزوا الحد وأنكروا على السلطان، ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة، وصار باب داره كأنه باب سلطان عليه السلاح والرجال وغير ذلك من أبهة الملك، فقاتله الجند فكسروا أصحابه، فألقى السلاح وصار بين النساء، ثم اختفى في بعض الدروب، فأخذ وجيء به إلى إبراهيم بن المهدي فسجنه(2).

ودخل رجل صالح على الإمام أحمد، فقال: إن أمي رأت لك مناماً، هو كذا وكذا، وذكرت الجنة، فقال: يا أخي، إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا وخرج إلى سفك الدماء. وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره(3).

وفي سنة (227هـ) خرج أبو حرب اليماني المبرقع بفلسطين وادعى أنه السفيناني، فكان الناس يترددون عليه في الجبل فيذكرهم ويحرضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويذكر السلطان ويعيبه، فكثرت أتباعه حتى بلغوا مائة ألف، فأرسل إليه الخليفة العباسي (المعتصم) جيشاً، فأسر وحبس فمات في حبسه(4).

وفي سنة (255هـ) ظهر رجل في البصرة يدعى (علي بن محمد بن عبدالرحيم)، وهو من من الشياطين الدهاة، كان طرقياً أو مؤدباً، له نظر في الشعر والأخبار، ويظهر من حاله الزندقة والمروق، ادعى أنه علوي، ودعا إلى نفسه، وشخص إلى (هجر) فاتبعه جماعة من أهلها وقتلوا دونه، ثم خرج منها إلى البادية ثم إلى (البصرة) فالتف عليه قطاع الطريق، والعبيد السود من غلمان أهل (البصرة)، حتى صار في عدة، وتحيلوا وحصلوا سيوفاً وعصياً، ثم ثاروا على أطراف البلد، فبدعوا وقتلوا وقووا، وانضم إليهم كل مجرم، واستفحل الشر بهم، فسار جيش من العراق لحربهم، فكسروا الجيش، وأخذوا (البصرة) واستباحوها، واشتد الخطب، وصار قائدهم في جيش وأبهة، ودام البلاء بهذا الخبيث المارق ثلاث

(1) السير (329/7).

(2) تاريخ الطبري (143/5). تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 201-210)، البداية

والنهاية (123/14).

(3) السير (226/11).

(4) تاريخ الطبري (269/5).

عشرة سنة، إلى أن قتل. وعرفت فنتته هذه بفتنة الزنج⁽¹⁾.

وفي سنة (322هـ) ظهر بمدينة (باسند) رجل ادعى النبوة، فقصده فوج بعد فوج، واتبعه خلق كثير، وحارب من خالفه، فقتل خلقاً كثيراً ممن كذبه، وكثر أتباعه. وأرسل السلطان إليه جيشاً فقتل وقتل من معه، وكان يدعي أنه متى مات عاد إلى الدنيا فبقي بتلك الناحية جماعة كثيرة على ما دعاهم إليه مدة طويلة ثم اضمحلوا وفنوا⁽²⁾.

وادعى التناسخ وحلول الإلهية فيه (أبو جعفر الشلمغاني) (ت: 322هـ) وتبعه خلق واعتقدوا فيه، فقبض عليه، وأفتى الفقهاء بحل دمه، فصلب وأحرق بالنار⁽³⁾.

وفي العصر الحديث صارت الأمور أشد تعقيداً، والأحوال أكثر التباساً.. فكثرت الرايات وتعدد الشعارات، فانخدع بها المغفلون، وانطلت على السذج، وسار خلفها الدهماء فأوردتهم المهالك ومواطن الفتنة فجنوا على أنفسهم وعلى أديانهم أعظم جناية.

فالمؤمن لا يكون مغفلاً ساذجاً فتسهل خديعته أو جرّه إلى ما فيه عطبه وهلاكه في الدنيا والآخرة. والمؤمن يغلب عليه عقله فلا يسبق إلى ما يمليه عليه غضبه أو شهوته الخفية أو هواه فيقع فيما يأسف عليه. والمؤمن العاقل كلماته معدودة، ومواقفه محسوبة، سمته التؤدة، وتحكمه الأناة، ويبصر العواقب والمآلات.

قال الشافعي (ت: 204هـ): (العاقل من عقله عن كل مذموم)⁽⁴⁾.

وانظر إلى الرايات والشعارات التي رفعت في الثلاثين سنة الأخيرة وكيف سار خلفها فنام كثيرة ثم تبين ضلال تلك الرايات وانحراف أصحابها.

ففي سنة (1400هـ) خرج (جهيمان) ومن معه وادعوا أن معهم المهدي فتبعهم الدهماء وضعيفو النظر والإدراك فأصابوا المنكر ووقعوا في الضلال واستحلوا ما حرّم الله.

بل من عجيب ما قرأت أن الكاتب (عبدالله بن بجاد) كان يعتقد أن المهدي ما زال حياً وأنه يعيش في اليمن أو رفع إلى السماء، وهذا المفتون

(1) تاريخ الطبري (441-457/5).

(2) الكامل (164/5).

(3) الكامل (165/5).

(4) مناقب الشافعي، البيهقي (187/2).

وفي ظني أن هؤلاء خطر على الدعوة والناشئة لأنهم يهدمون الدين من الداخل ويقوضون أركانه.

وفي سنة (1432هـ) ظهر دعاة الاحتساب المدني، والمقصود به دعوة الأمة إلى الاحتساب على حكامها، لأنهم لم يقنعوا بإصلاح يقوده علماء مستسلمون، أو دعاة مخمليون، أو متفائلون بإصلاحات أخلاقية واجتماعية، لا يرون في نصائحهم سوى الكلمة الباهتة التي لا لون فيها ولا رائحة، لذا فهم يتطلعون لرؤية الشباب وهو يقفون أمام حكام الجور والاستبداد والفساد والظلم، وإقامة العدل والحقوق والنهضة بكل الوسائل السلمية، يتطلعون ليروا شهيداً يرتلون أمام جثمانه آيات البطولة. وينثرون فوق رحي روحه الطاهرة قصائد الشرفاء تدوي في كل أرجاء الوطن وتسمع الثكالي والمقهورين أناشيد النصر والتمكين⁽¹⁾.

والذي يتأمل تلك الحركات التي قامت في القديم والحديث يجد أن الدافع في كثير منها هو تحصيل شيء من الدنيا كمالاً أو جاهاً أو زعامة أو سلطة وإنما جعلت المذهب أو العقيدة ستاراً لها.

فقد قام الداعي الخبيث (الحسين بن أحمد بن محمد الصنعاني) (ت:298هـ) بالدعوة العبيدية، واستجاب له خلق من البربر، وحارب أمير المغرب (ابن الأغلب)، وهزمه غير مرّة، ولما جاء عبيد الله المهدي وتسلم الملك، لم يجعل لهذا الداعي ولا لأخيه كبير ولاية، فغضب، وأفسد عليه القلوب وحارباه، وجرت أمور، إلى أن ظفر بهما المهدي فقتلها⁽²⁾.

ولما قدم (صلاح الدين الأيوبي) إلى (مصر) مدحه الشيخ (عمارة اليمني) (ت:569هـ) بقصائد، لكنه لم يجد ما أمّله في (صلاح الدين) من المكانة، فسعى للخروج عليه مع طائفة من المبتدعة وإعادة دولة العبيديين المعروفة، فكشفهم صلاح الدين وقتلهم وصلبهم⁽³⁾.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:728هـ) أن أذكى الفرق الباطنية يعلمون كذب رؤوس الدولة العبيدية وجهلهم، ولكن بسبب خدمتهم يحصل لهم من الرياسة والمال والشهوات ما لا يحصل بدون ذلك، فهم يعاونونهم كما يعاون أمثالهم من أهل الكذب والظلم لتنال بهم الأغراض⁽⁴⁾.

فأيّك أن تتخذ بما يرفع من رايات، والزم الجماعة، واتبع أهل العلم

(1) الاحتساب المدني، محمد العبدالكريم، ص(34).

(2) السير (58/14).

(3) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب (532/2).

(4) منهاج السنة (482/3).

الراسخين فيه، فإنه لا يتورط مع أصحاب تلك الرايات إلا الهمج والرعاع، قال البربهاري (ت: 329هـ): (واعلم أنه لن تجئ زندقة قط إلا من الهمج والرعاع وأتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له)⁽¹⁾.

ورؤوس الضلال ودعاة الانحراف يرفعون شعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فتارة يسمون أنفسهم بدعاة الحقوق، وتارة أخرى بدعاة الإصلاح، وأخرى بجملة التنوير أو دعاة الوسطية... وهذا شأن المفسدين في الأرض من القديم، وأكثرهم كذبة في ذلك، وإنما غرضهم التقرب إلى العوام والجهال، واستتباعهم لهم، واستجلابهم إلى دعوتهم. ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظن، ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين⁽²⁾.

قال شيخ الإسلام (ت: 728هـ): (ما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانّة أنها تفعله طاعة لله)⁽³⁾.

وإذا ظهرت الرايات تعصّب الغوغاء لأصحابها وغلوا في تعظيمها حتى يتخذوها صنماً يوالون ويعادون عليها⁽⁴⁾.

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك الله وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين⁽⁵⁾.

وتحزب طائفة بالتعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عن من لم يدخل حزبهم بالحق والباطل، من التفرق الذي ذمّه الله

(1) شرح السنة، ص(44).

(2) منهاج السنة (543/4).

(3) مجموع الفتاوى (207/28).

(4) قال الوزير ابن هبيرة (ت: 560هـ): (من مكابد الشيطان أن يقيم أوثاناً تعبد من دون الله، مثل أن يبين له الحق، فيقول: ليس هذا مذهبنا، تقليداً للمعظم عنده، قد قدّمه على الحق). الذيل على الطبقات (156/2).

(5) منهاج السنة النبوية (261-262/5).

تعالى ورسوله @⁽¹⁾.

ولذا فالمسلم لا ينضوي تحت جماعة ولا يسير خلف راية إلا جماعة المسلمين وإمامهم، ويتباعد عن الانتماء للجماعات والأحزاب التي تجعل نفسها محوراً للولاء والبراء وقاعدةً للانطلاق وقبلةً للقصد والتوجه فتضيع أصول الإسلام الكبرى في التحزب والتعصب للجماعة أو الأشخاص.

فالولاء للمسلمين جميعاً بقدر إيمانهم، والتعصب للإسلام ورسوله وكتابه، والقصد والتوجه يكون لله والدار الآخرة.

وما نُكِبَت الدعوة ولا انحرفت الناشئة ولا ضعف العمل الإسلامي وقلّت بركته في بعض البلدان إلا بسبب هذا التحزب والتعصب لجمعيات وجماعات وعقد الولاء على شخصيات.

واني استغرب أن يكون في بلادنا التي ظهرت فيها هذه الدعوة المباركة التي تعتبر أنموذجاً في نقائها العقدي وصفائها الفكري وسلامة منهجها التي أقامت دولة حديثة أخذت بأسباب الرقي المادي مع محافظة على أصولها الشرعية حتى فاقت مثيلاتها من الدول العربية التي ما زالت مرتهنة لمذاهب وأفكار وتوجهات غربية وشرقية عانت من آثارها وتجرعت غصصها.. استغرب من يتبنى الدعوة إلى تجمعات ومناهج لديها انحرافات عقديّة وفكرية ظاهرة.. استغرب من يتبنى دعوة الإخوان المسلمين المصرية أو دعوة التبليغ الهندية ونشرها في هذه البلاد.. ويزداد العجب عندما ترى من ينضوي تحت هذه الدعوات ويستجيب لأهلها..⁽²⁾

لقد استغربت كثيراً عندما قال أحدهم في برنامج: (البيان التالي) على قناة (دليل) إنه ينتمي للإخوان المسلمين فكريباً!!

واستغربت عندما قال آخر في برنامج: (نقطة تحول) على قناة: (إم بي سي) إنه انتمى للإخوان المسلمين أربع سنوات.

وهل أرضنا مقفرة ورباعنا سبخة حتى نستجدي المناهج ونشخذ المبادئ ونستورد القيم؟ أليس في كتاب الله وسنة رسوله وهدى السلف الصالح غنية وكفاية؟! وهل الاعتزاء إلى مذهب السلف أهل السنة والجماعة أشرف وأحق أم الاعتزاء إلى مناهج وطرق محدثة؟! وإن الله لن يغفل، والتاريخ لن يرحم من كدر الصفو، وشوش الفكر،

(1) مجموع الفتاوى (69/11).

(2) ينظر عن حكم الانتماء للجماعات:

- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد.
- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال بادي.

وحرّف المسار، وشتّت الجماعة.

وقد أثبت الواقع أن التعصب للشخصيات، والاعتزاز بالرايات، والانخداع بالشعارات في غير محله، إذ سقطت الرايات وتحولت الشخصيات وتغيرت الشعارات وأصبح الاتّباع وقوداً للفتنة، وتكشّفت الأمور عن دعوة قادها شخصيات تبعهم فيها أعرار ثم تبرا الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا.

ولم تخجل تلك الشخصيات من عورتها، ولم تستح من سوءتها، ولم تحاسب نفسها عن تبعة الاتّباع الذين ألفت بهم في غياهب السجون وأنون الفتنة، فهي لا ترى في الاتّباع إلا قطيعاً تجره إلى هواها وأهوائها، فخرجت بمنهج جديد تهدم الدين وتقوض أركان الشريعة وتريد من المغفلين أن يطربوا لكلامها!!

وكان الأولى بهؤلاء أن ينكفئوا في أحلاس البيوت يعدون ذنوبهم، ويستغفرون ربهم، ولكن.. مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى [إذا لم تستح فاصنع ما شئت].

ألا يكفي ما جنته الدعوة؟

ألا يكفي ما حصل من الشتات والفرقة؟

ألا يكفي ما وقع على الاتّباع من السجن والتتكيل؟

أليس للبشر قيمة عند هؤلاء؟ كيف يهنؤون بنسائهم وأولادهم والاتّباع محرومون منهم؟ وكيف ينعمون بقصورهم والاتّباع في غياهب السجون؟

إن الأغيار على الدين لن يتركوهم يعبثون كما عبثوا، فإنهم في المرة الأولى أخذوهم على غرة، والمؤمن لن يلدغ من جحر مرتين.

بل عامة الناس أدركوا حقيقتهم لأنهم لا يتقون في المتلون ولا يركنون إلى المتقلب وإن ادعوا أنهم متصالحون مع أنفسهم.

لقد تكشّفت الأوراق، وسقطت الأقنعة، وبان الزيف، وإنهم لو ابتغوا نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فلن يصلوا إلى مبتغاهم. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

سابعاً ظهور المصطلحات والألفاظ المجملة

من أسباب الانحراف في الأمة ظهور المصطلحات المجملة والألفاظ الغامضة التي تحمل معنى حقاً وباطلاً فيلتبس الحق والباطل فيفضل الناس. ففي القديم ظهر مصطلح الجواهر والأعراض والأبعاض⁽¹⁾... فكانت سبباً في ضلال أقوام وانحرافهم في باب أسماء الله وصفاته.

قال ابن تيمية (728هـ): (وأما الخوض في الأعراض والأجسام كما خاض فيه المتكلمون، كقولهم: ليس بجسم ولا عرض ونحو ذلك، فأول من ابتدعه في الإسلام الجهمية وأتباعهم من المعتزلة)⁽²⁾.

وفي زماننا ظهرت مصطلحات وألفاظ تحمل حقاً وباطلاً واستغلها أهل الباطل لترويج باطلهم ونشر انحرافهم.

فظهر مصطلح (التعددية الفكرية): دعوة إليها، واحتراماً لها، واعتبارها أنموذجاً يجب أن يطبق في المجتمع.

ويقصدون بالتعددية: تعدد الأديان والمذاهب والطوائف والاتجاهات... فيجب احترامها وعدم التعرض لها ولا لأهلها ويدخل في ذلك الانحرافات الفكرية التي تكون من آحاد الناس إذ هي - بزعمهم - نوع من التعددية الفكرية.

وجعلوا مقابل التعددية مصطلح (الأحادية): تنديداً به، وتشنيعاً على أهله. ويعنون به اجتماع الناس على قول أو منهج واحد في العقائد أو السلوك.

ومقصودهم من هذا المصطلح: التمكن من نشر فكرهم، وعدم

(1) ينظر: منهاج السنة النبوية (527/2).

(2) بيان تلبيس الجهمية (558-559/2).

الاحتساب عليهم.

وهذا المصطلح بصورته التي يدعون إليها ويطالبون بها يتضمن تقويضاً لأصول الدين، فلا ولاء ولا براء، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ولا دعوة إلى الله تعالى، مع إبطال حد الردة والتعزير للمنحرفين، والرضا بالانحراف ومنحه حق الدعوة وحماية أهله وكبت أهل الحق وعزلهم والتضييق عليهم. وشواهد هذه الآثار واضحة لمن تأمل.

وانجرف في الدعوة لهذا المصطلح بعض المنتسبين للدعوة جهلاً أو عمداً، فالجاهل لا يدرك حقيقته ومضمونه وآثاره، والعامد يرى فيه نافذة لنشر فكره الجديد الذي يبشّر به.

واجتمعت الرافضة والصوفية والتغريبيون على هذا المصطلح، فكتبوا فيه مؤلفات ومقالات⁽¹⁾.

ومن مصطلحات القوم: الوصاية: فلا وصاية على المرأة، ولا على المجتمع، ولا على أفراد. والمراد: رفض الأحكام والتكاليف الشرعية والأعراف المستحسنة والإلزام بها، والتحلل من ضوابط الشرع، والآداب المجتمعية.

وتتبع ما كتبه القوم في صحفهم فوجدت ما يزيد على مائة مقال خلال سنة واحدة تحمل هذا المضمون.

والسيء أن تسلل هذا المصطلح بمفهومه المنحرف إلى كتابات بعض المنتسبين إلى الدعوة، تضليلاً للناس وتليبساً عليهم.

ولن أكرر نوبك اللغوي وغيرتك الشرعية بمقالات هؤلاء وكتاباتهم، لكنني سأكتفي بمقال بعنوان: (فهل أنتم مسلمون؟) كتبه أحدهم، جاء فيه: (وهذا هو السر في بدء الإسلام واهتمامه بقضية الإيمان، وتأصيلها، وتعميق جذورها في نفس المسلم، ذلكم أن الإيمان بالشيء، والقناعة به، وحبّه، هو أكبر حام له، وليست سياط الإرهاب الفكري، ولا يثبتته قيود التحريم، ولا التشديد في الفتوى!

والإنسان بطبيعته يرفض الوصاية والاضطهاد الفكري، وتزيده التحديات شكيمة وقوة، وتتفخ فيه ليرقى إلى التطلع لكسر قيده ونيل حقوقه.

(1) ينظر مثلاً:

- التعددية والحرية في الإسلام، حسن الصفار.
- الفكر الإسلامي: قراءات ومراجعات، زكي الميلاد.
- العنف والتنمية السياسية في المملكة، حمزة الحسن وفؤاد إبراهيم.
- رهانات خطاب الاعتدال والواقع المعاصر في المملكة، علي آل طالب.

ومن المصطلحات: (الإصلاح الديني)، ويعنون به قسر الشريعة وتغيير أحكامها لتوافق الواقع وأهواء الناس ورغباتهم. ويكون الإصلاح عندهم: بتغيير الأحكام المتعلقة بالمرأة والكفار والمبتدعة في اتجاهاتها المختلفة. تجد هذه المفاهيم المغلوطة وغيرها في كتاب: (الحدائث والنص والإصلاح الديني)⁽¹⁾. و(إصلاح الفكر الديني أولاً)⁽²⁾، و(تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام)⁽³⁾.

وإصلاح مصطلح شرعي جاء في القرآن والسنة لإصلاح العقائد، وتقويم الأخلاق، وتطهير العوائد حتى تستقيم الأمور وتنضبط الأحوال. فالإصلاح في الإسلام يكون بالدين، والإصلاح عند القوم يكون للدين. **چ** پپیپینٹنٹنٹ [الكهف:5].

ومن المصطلحات: (الحرية)، ينادون بها ويدعون إليها، وهي تتمثل عندهم: في حرية الفكر والتعبير.. وطريقها: الديمقراطية والانتخابات ورفع سلطة الشريعة وحرية الصحافة والتعبير... في تنظيرات وتخليطات تطول. تراها في مثل هذين الكتابين: ضد الحرية أنسنة الخطاب الديني والسياسي لسعود البلوي⁽⁴⁾، وأشواق الحرية لنواف القديمي⁽⁵⁾.

وهم في هذا يتكئون على المفاهيم الغربية والمذاهب التي استقت منها، فالليبرالية والشيوعية والرأسمالية وغيرها من المذاهب رفعت شعار الحرية.

وهذا المصطلح غريب على الإسلام، فالإسلام لما جاء بتكريم الإنسان ورعاية الحقوق والمحافظة على الحرمات متمثلاً في حفظ الضرورات الخمس، وتعظيم الدماء والأعراض والأموال، جاء أيضاً بالتكاليف الشرعية والأوامر والنواهي، وألزم بها، وقرّر الحدود والتعازير لمن وقع في موجباتها، وأوجب الاحتساب على المخالفين، وهو ما يتعارض مع الحرية بمفهومهم وطرحهم.

ويلزم من المناداة بالحرية المطلقة تعطيل الحدود وخاصة حد الردة، وترك الاحتساب، والتهوين من الفرائض الشرعية.

(1) الحدائث والنص والإصلاح الديني، عبد العزيز القاسم، ص(43، 50، 172).

(2) إصلاح الفكر الديني أولاً، يعقوب محمد إسحاق، ص(423-209، 497).

(3) تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام، يعقوب محمد إسحاق ص(150-152، 230، 233).

(4) ص(41-45، 84، 95، 193).

(5) ص(20، 38، 40، 70).

وشاهد هذا أن (نواف القديمي) كتب مقالاً بعنوان: (هامش الحرية وهوامش أخرى)⁽¹⁾ أثار فيه شبهات وتساؤلات تنتهي إلى إسقاط حد الردة. وأنكرت (حصّة آل الشيخ) حد الزاني المحصن وسخرت من حد القذف في مقال لها بعنوان: (مناهجنا الدينية بين قضايا الأخلاق وأوهام الفضيلة)⁽²⁾.

وصرّح بوق ماجور من أبواق الضلال وهو (رائف بدوي) - مما يوضح حقيقة ومآل الحرية التي يطالبون بها - بأنه من حق الملحد أن يقول ما يريد، من حقه أن يخرج على الناس ويصدق بصوته ويقول: أنا ملحد، وليس من حق أي أحد أن يحاسبه⁽³⁾.

ومن ينتمي للدعوة الإسلامية من هؤلاء فقد تأثر بفكر رموز المدرسة المصرية المعاصرة (مدرسة العقل)، فقد صرّح الدكتور (يوسف القرضاوي) في برنامج (في الصميم) على قناة (بي بي سي) أنه مع حرية المعتقد والأديان، مصرحاً بتقديسه للحرية، وأن الحرية مقدمة على تطبيق الشريعة.

ولما سأله المذيع: هل يعني هذا أن من حق المسلم أن ينتصر؟ سكت الدكتور القرضاوي ولم يجب!!⁽⁴⁾

وحديث القرضاوي هذا وعموم اجتهاداته منهج عام يلتزمه أصحاب مدرسة العقل.. ولذا أكد (راشد الغنوشي) في مقابلة معه على قناة دليل في شهر ذي الحجة من سنة (1432هـ) على أن الحرية هي الدين، وأن الناس هم الذين يطلبون الدين، لا أن الدين يطلب الناس.. كما أكد مراراً بأنه لا يجوز إلزام المجتمع المسلم بشيء من الإسلام وأحكامه.. وانتقد المجتمعات الإسلامية التي يجري فيها إلزام المسلمين بشيء من الأحكام الشرعية.

ومن المصطلحات: (الإرهاب)، إذ صرفوه من مفهومه: الاعتداء على الناس بغير حق⁽⁵⁾، إلى اتهام: الإسلام، وشرائعه، وأحكامه... والسلفية وعلماء الإسلام ودعاته... بأنهم منبع الإرهاب ودعاته في

(1) منشور في الصحف الإلكترونية ومواقع الإنترنت.

(2) صحيفة الوطن، العدد (3403)، التاريخ (1431/2/28هـ-2010/1/23م).

(3) تجده على شبكة اليوتيوب بعنوان: (رائف بدوي يطالب بحقوق الملحد في السعودية).

(4) تجد هذا البرنامج على اليوتيوب على شبكة الإنترنت بعنوان: (القرضاوي في الصميم).

(5) الإرهاب: مفهومه، أشكاله، أسبابه، عبدالحليم بلال، ص(693).

استغلال لحوادث العنف، دفعهم ما تكثته قلوبهم من حقد وغيظ وحنق على المجتمع وتدينه، وللأسف أن غالب مقالات الصحافة في الحديث عن موضوع الإرهاب لم تخرج عن هذا الإطار.

وستجد هذا في كُتُب اعتبرت شريعة الجهاد، والثقافة الإسلامية، والتعليم الشرعي، والمنهج السلفي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأحكام القضائية، والحجاب، وتعدد الزوجات، والدعوة، وخطبة الجمعة، والقنوات الفضائية المنضبطة... إرهاباً!!!⁽¹⁾.

(1) ينظر:

- الإرهاب في جزيرة العرب، إسحاق يعقوب، ص(24، 76، 278).
- ثقافة التطرف، حمزة المزييني، ص(31، 87، 119، 207).
- أيام الإرهاب في السعودية، يحيى الأمير، ص(15، 68، 179).
- نحن والإرهاب، محمد المحمود، ص(77، 170، 203، 306).

ثامناً ضعف التدين والتعبد

أعظم النعم على العبد: الإقبال على الله، والتعبد له، والانقطاع إليه، والتبتل إليه⁽¹⁾.

وهذا شأن السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم: تعبد وتألّه، وورع وتقوى، وعلم وعمل.

هذا شأنهم: العلم والعبادة، أما اليوم فالكثير لا علم ولا عبادة، بل تخييط ولحن، وتصحيف كثير، وحفظ يسير، وإذا لم يرتكب العظائم، ولم يخل بالفرائض فله دره⁽²⁾.

فما الظن إذا كان الواعظ ممن عبد بطنه وشهوته، وله قلب عري من الحزن والخوف، فإن انضاف إلى ذلك فسق مكين، أو انحلال من الدين، فقد خاب وخسر، ولا بد أن يفضحه الله تعالى⁽³⁾.

وهذا ما يمكن أن نسميه بالتدين الكاذب الذي يلجأ إليه صاحبه رغبة في الجاه أو المال أو المنصب وهو من أكثر الناس بعداً عن التدين: التزاماً بالفرائض وبعداً عن المحارم.

وعلامة التدين الكاذب التحلل من التزام الفرائض والأخذ بالرخص والتساهل في أخذ المال.

ولذا فطالب العلم الموفق من أدرك ثلاث خصال: العلم، والدين، والورع. ويحوز الكمال إذا كان ذا مروءة تامة⁽⁴⁾.

(1) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (3/ 847).

(2) السير (10/ 134).

(3) سير أعلام النبلاء (11/ 410).

(4) قال الشافعي: (لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربعة: بالديانة، والأمانة، والصيانة،

وترى هذه الخصال الثلاث ظاهرة في سير العلماء الربانيين من الصحابة والتابعين.

ومن ضعف التدين والتعبد الذي يبتلئ به الإنسان: ترك الجماعة وهجر المسجد بل هو من أجلي صور النفاق وضعف الإيمان⁽¹⁾.

وهذا واضح في نصوص الوحيين التي جعلت الصلاة إيماناً **ككك** **ككك** [البقرة:143] يعني صلاتكم.

وجعلتها من صفات المؤمنين وخصالهم **ككك** **ككك** **ككك** [الأنفال:2].

ومن خلال المتقين: **ككك** **ككك** **ككك** [البقرة:2-3].

والتهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين **ككك** **ككك** **ككك** **ككك** **ككك** [النساء:142].

وقال @: **[أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً]**⁽²⁾.

ولذا كان السلف الصالحون والأئمة المهديون من أشد الناس محافظةً على الجماعة ورعايةً لها: تعظيماً للدين وتمسكاً بالسنة وإظهاراً للشعائر وقفواً للأثر ومجانبةً لسبل النفاق.

سمع عامر بن عبدالله بن الزبير (ت:120هـ) المؤذن وهو يوجد بنفسه، فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام المغرب، فركع ركعة، ثم مات⁽³⁾.

وقال الإمام يزيد بن ربيعة: (ت:123هـ): (ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً)⁽⁴⁾.

وكان الإمام سليمان بن مهران الأعمش (ت:147هـ) قريباً من سبعين سنة لم تفته تكبيرة الإحرام⁽⁵⁾.

وقال العلامة أبو عبدالله محمد بن سماعة (ت:233هـ): (مكثت

والرزانة). ذم الكلام وأهله، الهروي (70/5).

(1) ذكر شيخ الإسلام أن من علامات المنافقين التخلف عن الجماعة، واستشهد بقول ابن مسعود وفيه: (ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق). منهاج السنة (150/7).

(2) أخرجه البخاري (657)، ومسلم (651).

(3) سير أعلام النبلاء (220/5).

(4) سير أعلام النبلاء (240/5).

(5) سير أعلام النبلاء (228/6).

أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوم ماتت أمي⁽¹⁾.
وقال الشيخ الفقيه أبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي
(ت:371هـ): (إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف
فاطلبوني في المقبرة)⁽²⁾.

وهكذا شأن علماء الصلاح في العصور المتأخرة فابن باز وابن
غصون وابن جبرين واللحيدان وابن فوزان وغيرهم لا تراهم في الصلاة
إلا خلف الإمام.

وترك الجماعة وهجر المسجد وتضييع الفرائض علامة سوء ودليل
فساد وباب إلى الخذلان.

إذ جرى الأمر أن من تهاون بالسنن عوقب بالحرمان من الفرائض،
ومن تهاون بالفرائض عوقب بالجرأة على الحدود والمحارم.
قال إبراهيم بن يزيد التيمي (ت:92هـ): (إذا رأيت الرجل يتهاون في
التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه)⁽³⁾.

فإذا كان هذا هو الشأن فيمن يتهاون في التكبيرة الأولى؟ فما الشأن
إن فيمن لا يرى في المسجد؟

وكيف يفتي أو يقضي أو يدرّس أو يدعو إلى الله من أعرض وتولّى
ولم يرفع بالصلاة رأساً، ويقم لها وزناً.

قال البربهاري (ت:329هـ): (إذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في
جماعة فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى، وإذا رأيت الرجل يتهاون
بالفرائض في جماعة فاعلم أنه صاحب هوى)⁽⁴⁾.

ولقد تتبعت تراجم المنحرفين في القديم فوجدتهم ممن عرفوا بالتفريط
في الصلاة أو التهاون بالجماعة.

فتغيّر المحدث الحافظ (أبو بكر محمد بن عمر بن محمد الجعابي)
(ت:355هـ) وصحب قوماً من المتكلمين واتهم بترك الصلاة⁽⁵⁾.

وكان (علي بن أبي الحسن الحريري الصوفي) الموصوف بالزندقة

(1) سير أعلام النبلاء (10/647).

(2) السير (16/346).

(3) سير أعلام النبلاء (4/62).

(4) شرح السنة، ص(52).

(5) تاريخ بغداد (4/48).

(ت:645هـ) مستخفاً بأمر الصلوات(1).
 ومثله العلامة الفيلسوف الأصولي (عز الدين حسن بن محمد
 الإربلي الضرير) (ت:660هـ) إذ كان مخلاً بالصلوات(2).
 وعُرف (البدر المراغي الخلافي المعروف بالطويل) (ت:660هـ)
 بقلة الدين وترك الصلاة، مع اغتباطه بما فيه من معرفة الجدل والخلاف
 على اصطلاح المتأخرين(3).
 واعتقد بعض الناس في الشيخ (سليمان التركماني المولّه)
 (ت:714هـ) وزعموا أنه رجل صالح وكان لا يصلي الصلوات ولا
 يأتيها(4).
 وادعى (إبراهيم الموله القميني) (ت:725هـ) الكشف، ولم يكن من
 أهل الصلاة، وقد استتابه تقي الدين ابن تيمية وضربه على ترك
 الصلاة(5).
 وفي الزمان الحديث: رأينا رؤوس الانحراف لا يشهدون الجماعة
 ولا يقربون المسجد.
 فأحدهم يسكن مكة هجر المسجد والجماعة فأصبح فيما بعد رداءً
 للمنافقين وسنداً للتغريبين في الدعوة للفساد وإباحة الاختلاط بين
 الجنسين...
 وآخر يسكن في الرياض مثله في الدعوة إلى الفساد والانحراف..
 تضايق جيرانه بجفائه للمسجد وهجره للجماعة فانتقل عنهم.
 وذكر (خالد الفراج) وهو أحد وجوه الخط الأول من تنظيم العنف
 والتفجير في اعتراف له بث على التلفزيون بأن عادة أتباع النظام التساهل
 بالصلاة والنوم عنها!!
 وكثير ممن ظهر انحرافهم كانوا يتساهلون في شأن الصلاة ولا
 يقيمونها في الجماعة، وهؤلاء سيذكرهم التاريخ كما ذكر من قبلهم.
 وإياك أن تظن أن ضعف التعبد ليس له علاقة بالانحراف الفكري
 والعقدي بل هو جزء منه أو سبيل إليه أو أحد ملامحه.

(1) البداية والنهاية (441/17).

(2) السير (354/23).

(3) الذيل على الروضتين (312/1).

(4) البداية والنهاية (140/18).

(5) البداية والنهاية (285/18).

سئل عمرو بن سلم الزاهد (ت: 264هـ) عن البدعة؟ فقال: (التعدي في الأحكام، والتهاون بالسنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء والاتباع)⁽¹⁾.

واستطرادا لهذا: فقد رأيت بنفسي حال المبتدعة مع الصلاة لما كنت في مصر إذ كان يدرس معي جملة من طلاب العلم من بلاد الشام من المتصوفة فكان بعضهم يشهد الجمعة أما الجماعة فلا يشهدونها مطلقا، وغالبهم يؤخر الصلاة عن وقتها، بل من عجيب ما رأيت من حالهم أنهم دخلوا مجلس ذكر قبيل المغرب ولم يخرجوا منه إلا بعد منتصف الليل ولم يقيم واحد منهم للصلاة!!

(1) ذم الكلام وأهله (381/4).

تاسعاً فساد النية وسوء القصد

إن سوء النية وفساد القصد تحرم العبد الخير وتكون سبباً لخدلانه وسبيلاً لانحرافه.
وأوجب ما تجرد فيه النية ويصلح فيه القصد: طلب العلم الشرعي: علم الكتاب والسنة.

(فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرّهم العلم إلى الاخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد ذلك، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، فهذا أيضاً حسن. ثم نشره بنية صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليثنى عليهم، فلهم ما نوا. قال عليه السلام: **M من غزا ينوي عقلاً فله ما نوى I.** وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم، وولوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الفواحش والكبائر، فتباً لهم، فما هؤلاء بعلماء.
وبعضهم لم يتق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار.

وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار.
وهؤلاء الأقسام كلهم رخوا من العلم شيئاً كبيراً، وتضلخوا منه في

الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أو هموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله، لأنهم ما رأوا شيئا يقتدى به في العلم، فصاروا همجاً راعاً..(1).

وإذا وجد المنتسبون للعلم ممن يلتمس الدنيا بعمل الآخرة فسدت أديان الناس وحُرّف الكلم عن مواضعه وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

قال ابن مسعود: (كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتتخذ سنة، فإن غيّرت يوماً قيل هذا منكر، وقالوا: ومتى ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ذاك إذا قلت أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلّ فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، وتفقه لغير الدين والتمست الدنيا بعمل الآخرة)(2).

وقد ذكر الله سبحانه ما في المنتسبين إلى أتباع الرسل، من العلماء والعباد والملوك من النفاق والضلال في مثل قوله: ﴿يَجْعَلُ الْجِبَّ جَنَابًا وَيَرْحَلُ السَّحَابَ بِحُجَابٍ وَيَلْبَسُ الْحُجُبَ لِلْجِبَابِ وَلَا تَلْبَسُ الْحُجُبَ لِلرِّجَالِ وَلَا تَلْبَسُ الْحُجُبَ لِلنِّسَاءِ ذَٰلِكَ لِيُنذِرَ لِقَوْمٍ كَذَبُوا بَعْدَ مَا بُدِّعُوا مِنْهُمْ فَلْيَحْذَرُوا الْيَوْمَ﴾ [التوبة: 34](3).

والذي يتخذ العلم الذي هو آلة الدين آلة الدنيا، يستجلبها به، ويتوسل بالعلم إليها، ويجعل البضاعة التي هي متجر الآخرة متجر الدنيا، فهذا ليس بأمين على حملة، ولا يجعله الله إماماً فيه قط، فإن الأمين هو الذي لا غرض له ولا إرادة لنفسه إلا اتباع الحق وموافقته، فلا يدعو إلى قيام رياسته ولا دنياه. وهذا الذي اتخذ بضاعة الآخرة ومتجرها متجراً للدنيا قد خان الله وخان عباده وخان دينه..(4).

وهؤلاء القراء قوم سوء تعظم فتنتهم في آخر الزمان فيكونوا دعاةً للشرك أبواً للباطل، قال صلى الله عليه وسلم: **M** إن مما أتخوف عليكم: رجلاً قرأ القرآن، حتى إذا رأيت بهجته وكان ردة الإسلام؛ اغتره الشيطان إلى ما شاء الله، فانسخ منه ونبذه وراء ظهره...**L**..(5).

وفي آخر الزمان يكثر هؤلاء القراء لا أكثرهم الله فتقترن بهم الفتنة، قال صلى الله عليه وسلم: **M** سيأتي على أمتي زمان يكثر القراء، ويقل

(1) سير أعلام النبلاء (152/7).

(2) الإبانة (594/2).

(3) مجموع الفتاوى (41/9).

(4) مفتاح دار السعادة (392/1).

(5) قال الهيثمي: (رواه البزار وإسناده حسن). المجمع (187/1). وقال ابن كثير: (هذا إسناد جيد). تفسير القرآن (276/2).

الفقهاء، ويقبض العلم، ويكثر الهرج..L. الحديث(1).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إنكم في زمان كثير علماء قليل خطباؤه، وإن بعدكم زمانا كثير خطباؤه، والعلماء فيه قليل)(2). وهؤلاء معرضون لفتنة تصيبهم في أديانهم فيكونون عبرة تذكرها الأيام ولا ينساها التاريخ. فاللهم رحماك.

قال صلى الله عليه وسلم: **M يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، ويلبسون للناس مسوك الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذناب، يقول الله عز وجل: أبي يغترون؟ وعلي يجترون؟ فبي حلفت، لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم فيها حيران**L(3).

وقد أخبر الله عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم علمهم، فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به. قال تعالى: **يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَاقُوا السُّعْيَةَ سَعْيَهَا وَلَا تَهْتَبُوا بِهَا لِيَفْجُرَّ فَاكُمُومًا وَلَا تَهَيَّؤُوا لَهَا فَتُهَيَّئُوا لَهَا** [الأعراف:175]. وقال تعالى: **يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَاقُوا السُّعْيَةَ سَعْيَهَا وَلَا تَهْتَبُوا بِهَا لِيَفْجُرَّ فَاكُمُومًا وَلَا تَهَيَّؤُوا لَهَا فَتُهَيَّئُوا لَهَا** [الأعراف:169](4).

وهؤلاء ليسوا من دعاة الدين، ولا من أئمة العلم، ولا من طلبته الصادقين في طلبه، ومن تعلق منهم بشيء منه فهو من المتسلقين عليه، المتشبهين بحملته وأهله، المدعين لوصاله، المبتوتين من حباله(5).

والنفاق يكثر في هذه الطائفة، قال صلى الله عليه وسلم: **M أكثر منافقي أمتي قراؤها**L(6).

وهذا الصنف من الخلق تكون منهم الفتنة عن الدين، والصد عن سبيل المؤمنين، قال ابن المبارك (ت:181هـ): (كان يقال: تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون)(7).

وقال أيوب السخيتاني (ت:131هـ): (لا خبيث أخبث من قارىء فاجر)(8).

(1) أخرجه الحاكم (457/4) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(2) أخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم، برقم (109).

(3) أخرجه الترمذي (2544).

(4) فضل علم السلف على الخلف، ابن رجب، ص(4).

(5) مفتاح دار السعادة (401/1).

(6) أخرجه أحمد (6634).

(7) جامع بيان العلم وفضله (666/1).

(8) السير (17/6).

وَحُذِلَ هؤلاء في القديم والحديث فصرفوا جهدهم ووقتهم في نشر الانحراف والضلال.

فلَقَّن (أحمد بن يحيى الرواندي) (ت: 243هـ) المنسوب إلى الزبيح والإلحاد، اليهود الاحتجاج على عدم جواز النسخ بزعمهم بنقل مفترى بأن قال لهم: قولوا أن موسى عليه السلام أمرنا أن نتمسك بالسبت، ما دامت السموات والأرض، ولا يجوز أن يأمر الأنبياء، إلا بما هو حق⁽¹⁾.

وصنَّف (محمد بن طاهر بن علي أبو الفضل المقدسي) (ت: 507هـ) كتاباً في إباحة السماع، وصنَّف في جواز النظر إلى المرد؛ ولذا جرحه الأئمة ولم يحتجوا به⁽²⁾.

وكتب مظفر بن أردشير الواعظ (ت: بعد 553هـ) رسالة في إباحة الخمر. قال ابن حجر: (لم أكن أظن أن أحداً من المسلمين يستجيز جمع ذلك)⁽³⁾. أقول: تشابهت أحوال المنحرفين، فلا يزال المنحرفون يكتبون في الدعوة إلى الانحراف.

فكتب أحدهم أربعة عشر مقالاً في صحيفة سيّارة في الدعوة إلى الاختلاط بين الجنسين والتشكيك في تحريمه⁽⁴⁾.

وآخر كتب كتاباً بعنوان: (جواز صلاة الرجل في بيته) يشرع فيه ترك الجماعة بحجج لا تقوى على معارضة أدلة الوحيين الصريحة.

وخرج (ثالث) على قناة الرسالة في برنامج (مذكرات سائح) في شهر رمضان سنة (1432هـ) يقول فيه بأن الألحان والأنغام من معاني التدين، ودعا في برنامجه المسلمين إلى الاهتمام بالتصوير والرسم وتعليمها لصغارهم. وخرج في قناة (إم بي سي) في برنامج (الجمال في الإسلام) ليقرر جواز الغناء والمعازف، وجواز غناء المرأة.

وندد (رابع) بموقف أهل العلم والخير من القضايا المتعلقة بالمرأة فكتب مقالاً في صحيفة الرياض بعنوان: (معاركنا الجانبية بين أكل لحم الجني ورياضة المرأة)⁽⁵⁾ ومقالاً آخر بعنوان: (فوبيا المرأة)⁽⁶⁾.

(1) مرآة الجنان (107/2).

(2) البداية والنهاية (222-223/16).

(3) لسان الميزان، لابن حجر (53/6).

(4) ينظر: مقال بعنوان: (انتقاص الاعتراض في مناقشة أدلة تحريم الاختلاط)،

صحيفة الرياض، العدد (15527)، التاريخ (1432/1/22هـ-2010/11/28هـ).

(5) صحيفة الرياض، العدد (15725)، التاريخ (1432/8/13هـ-2011/1/12م).

(6) صحيفة الرياض، العدد (15547)، التاريخ (1432/2/13هـ-2011/1/17م).

واقراً مقالة معاذ بن جبل رضي الله عنه ستجد فيها توصيفاً دقيقاً لزماننا والمشاعبين فيه حيث قال: (إن الله حكم قسط تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة، والحر والعبد، والصغير والكبير، فيوشك أن الرجل يقرأ القرآن، فيقول: قد قرأت القرآن فما بال الناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، ثم يقول: ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره. فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة.)⁽¹⁾

صور فساد النية وانحراف القصد وعلاماته:

من صور فساد النية وفساد القصد طلب العلم الشرعي لأجل الشهادة والمنصب وتبوء الشرف والمكانة.

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من تعلم يبتغي الدنيا والمباهاة، قال صلى الله عليه وسلم: **M** لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتحذروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار⁽²⁾. وقال أيضاً: **M** من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة⁽³⁾.

ولما فسدت النيات ودخلت المقاصد وجدت السرقات والخيانات العلمية في الرسائل الجامعية، وأصبح بعض طلاب الدنيا يعمل الآخرة يسطون على جهود غيرهم وينسبونها لأنفسهم، بل بدت الصفاقة وتوارى الحياء عند بعضهم لما أصبحوا يأخذون الصفحات بهوامشها وينسبونها لأنفسهم. وآخرون يضربون في الأرض يبحثون عن يكتب لهم⁽⁴⁾.

ومن علامات آخر الزمان أن يرفع العلم ويظهر الجهل بسبب فساد النيات، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **M** من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل⁽⁵⁾.

أما قلة العلم وظهور الجهل: فبسبب التفقه للدنيا⁽⁶⁾. فيحرم المتفقه الفقه في الدين، وبركة العلم، وعائدة ميراث النبوة.

ومن علامات فساد النية والقصد غياب السمات والهدي الصالح وأخلاق النبوة عن هؤلاء.

(1) أبوداود (4611).

(2) أخرجه ابن ماجه (254)، وابن حبان (77)، والحاكم (86/1).

(3) أخرجه أحمد (8457)، وأبو داود (3664)، وابن ماجه (252).

(4) وقفت على رسائل علمية تفتقد للإمانة العلمية!!

(5) أخرجه البخاري (80)، ومسلم (2671).

(6) الاعتصام (434/2).

فقد كان الناس يتعلمون الهدى الصالح والسمت الحسن من العالم في الرعيل الأول رضي الله عنهم. فيحضر عند الإمام أحمد خمسة آلاف، خمسمائة يكتبون، والباقي يستمدون من سمته وخلقه وأدبه⁽¹⁾.

فطالب العلم يكون متواضعاً متطامناً، مخبتاً وجلاً، يبذل علمه وينشر دعوته، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، صاحب عبادة وتألّه، ينفع الناس ويحب الخير لهم، سليم الصدر مخموم القلب، ورعاً متعافياً. هكذا كان العلماء السابقون وهكذا يجب أن يكون التابعون لهم. بل هكذا يجب أن يكون حملة ميراث النبوة. ومن كان عرياً من ذلك فعلمه حجة عليه ووبالٌ في الدنيا والآخرة.

ومن أحسن ما قرأته كشفاً لحال هؤلاء القوم ما قاله الذهبي: (ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والخيلاء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب، ومقتته الأنفس)⁽²⁾.

(1) السير (316/11).

(2) السير (401/4).

عاشراً تقّم المسائل بغير علم

إن تقّم مسائل الشريعة والحديث فيها بغير علم يؤدي بصاحبه إلى الهلكة في الدنيا والآخرة، وهو من صور الكذب.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:728هـ): (من تكلم في الدين بلا علم كان كاذباً، وإن كان لا يتعمد الكذب)⁽¹⁾.

وانظر رعاك الله إلى الذين يتصدرون للحديث في كل مسألة من غير هدى ولا أثاره من علم كيف جنوا على أنفسهم أعظم جناية، ولو حجزوا أنفسهم بحاجز الورع وقيدوها بعقال العقل لسلموا، إذ جرى الأمر أن العبد يُخذل على جرأته على أمر الله ويوكل إلى نفسه فتراه يسترسل إن لم يوفق إلى توبة فيتقحم مسائل الاعتقاد بعد مسائل العمل، والمسائل الكبار بعد المسائل الصغار وهكذا..

وإذا رأيت منهج السلف الصالح رأيته مباحناً لحال هؤلاء المفتونين أعظم مباحنة إذ كان أولئك يتحرون السلامة وينشدون النجاة ويقفون عند حدود ما علموا، ولم يكن أحدهم يجد غضاضة في قول: لا أعلم، ولا أدري.

قال ابن الجوزي (ت:597هـ): (ومن صفات علماء الآخرة أن لا يتسرعوا إلى الفتوى وأن لا يفتوا إلا بما يتيقنون صحته من غير تردد، وقد كان السلف يتدافعون الفتاوى حتى يرجع إلى الأول).

ثم آل الأمر إلى أقوام يدعون العلم يسارعون الجواب في مسائل لو عرضت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر واستشارهم)⁽²⁾.
وتصدّر الفتيا والمسارة إليها من صور طلب الشرف في الدنيا

(1) مجموع الفتاوى (449/10).

(2) منهاج القاصدين (72/1).

ولهذا كره السلف الصالح الجراءة على الفتيا والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها(1).

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى (ت:82هـ): (أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة ما منهم من رجل إلا ود أن أخاه كفاه)(2).

ودخل رجل على ربيعة بن عبد الرحمن (ت:136هـ) - شيخ الإمام مالك - فقال: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أدخلت عليك مصيبة؟ فقال: (لا، ولكن استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم)(3).
فإذا كان ربيعة يبكي على ما حلَّ بالمسلمين في زمانه من ظهور المتعالمين، فماذا نفع في زماننا هذا؟

وقد كان السلف رحمهم الله على رسوخ قدمهم في العلم لا يجدون غضاضة في قول: لا أدري.

قال ابن مسعود (ت:32هـ): (إذا سئل أحدكم عما لا يدري، فليقل: لا أعلم، فإنه ثلث العلم)(4).

وقال أيضاً: (إن الذي يقفي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون)(5).

وسئل سعيد بن جبير (ت:95هـ): عن شيء، فقال: لا أعلم، ثم قال: (ويل للذي يقول لما لا يعلم: إني أعلم)(6).

وقال الشعبي (ت:104هـ): (لا أدري نصف العلم)(7).

وقال القاسم بن محمد بن أبي بكر (ت:108هـ) الحافظ الحجة عالم المدينة في وقته: (لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم)(8).

وجاءه أمير من أمراء المدينة، فسأله عن شيء، فقال: (إن من إكرام

(1) شرح حديث (ما ذئبان جائعان)، ص (55).

(2) أخرجه ابن خيثمة في كتاب العلم، برقم (21) و ابن سعد في الطبقات (110/6).

وابن المبارك في الزهد، ص(19).

(3) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (324/2).

(4) ذم الكلام وأهله، الهروي (29/3).

(5) ذم الكلام وأهله (34/3).

(6) جامع بيان العلم وفضله (836/2).

(7) ذم الكلام، الهروي (29/3).

(8) سير أعلام النبلاء (57/5).

المرء نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه(1).

سئل عطاء بن أبي رباح شيخ الإسلام ومفتي الحرم (ت:114هـ) عن شيء، فقال: لا أدري(2).

وكان سفيان الثوري (ت:161هـ): (إذا سئل عن المسائل؛ قال: لا أدري، حتى يظن من رآه أنه لا يحسن من العلم شيئاً)(3).

وعن خالد بن خدّاش قال: قدمت على مالك (ت:179هـ) بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل(4).

وقال سحنون (ت:240هـ): (أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً)(5).

وقال أيضاً: (ما وجدت من باع آخرته بدنياه غيره إلا المفتي)(6).

وكلام السلف في هذا المعنى كثير جداً يطول ذكره واستقصاؤه، وسبب مجانية السلف للفتوى والتصدر لها أن زلة العالم فيها جناية على نفسه وعلى العامة، فكيف إذا كانت زلات من جهلة متعالمين؟

قال صلى الله عليه وسلم: **M يهدم الإسلام ثلاث: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون**(7).

قد يقول قائل: إن هؤلاء المفتين لهم أسوة في مالك والشافعي وغيرهما من العلماء ممن تصدّر للإفتاء وهو صغير!!

ف نقول: وهل هؤلاء بلغوا علم مالك والشافعي؟ قال الإمام مالك: (ما أفنتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك)(8).

فمن شهد لهؤلاء وزكاهم؟ بل على النقيض من ذلك، فقد ذكر الإعلامي (داود الشريان) في مقابلة معه أن أحد المتصدرين للفتيا في زماننا كان ممنوعاً منها في حياة الشيخ ابن باز رحمه الله!!

ومن عجيب ما سمعت أن بعضهم يجد ويجتهد ويبذل وسعه لكي يخرج في برامج الإفتاء!! هل هناك عاقل يبحث عما فيه عطبه وهلاكه!!

- (1) المصدر السابق (57/5).
- (2) سير أعلام النبلاء (86/5).
- (3) ذم الكلام، الهروي (146/4).
- (4) سير أعلام النبلاء (77/8).
- (5) سير أعلام النبلاء (66/12).
- (6) سير أعلام النبلاء (66/12).
- (7) أخرجه الدارمي (214).
- (8) حلية الأولياء (345/6).

وهؤلاء المتسابقون إلى الفتوى والمسارعون إليها يحرمون التوفيق،
نسأل الله السلامة.

قال ابن القيم (ت:751هـ):

(قال بعض العلماء: قلّ من حرص على الفتوى، وسابق إليها، وثابر
عليها، إلا قلّ توفيقه، واضطرب في أمره. وإن كان كارهاً لذلك غير
مختار له ما وجد مندوحة عنه، وَقَدِرَ أن يحيل بالأمر فيه إلى غيره: كانت
المعونة له من الله أكثر، والصلاح في فتاويه وجوابه أغلب)⁽¹⁾.

وشاهد هذا الكلام حال كثير من المفتين الذين صدرت منهم فتاوى
إما تخالف النص الصريح - الذي ليس له معارض - أو الإجماع.

وأقل لك نتقاً مما وقع فيه بعض هؤلاء مما فيه مخالفة للنص
الصريح الذي ليس له معارض أو الإجماع.

الإفتاء بما يخالف النص الصريح:

فمن مخالفة النص الصريح إجازة أحدهم على قناة (إم بي سي) في
شهر رمضان سنة (1432هـ) لرسم ذوات الأرواح باليد لأنه قول بعض
المالكية!!

وقول أحدهم في برنامج (قصة فتوى) على قناة دليل بأنه لا يحرم
من النحت إلا ما كان ليعبد من دون الله⁽²⁾.

وقول أحدهم في خطبة له في مسجد قباء بأن الراجح أن أبوي النبي
صلى الله عليه وسلم من أهل الفترة يمتحنون في الآخرة.

ومن مخالفة النص الصريح إجازة أحدهم في صحيفة الجزيرة بداءة
الكفار بالسلام لأن الله تعالى يقول: **يحيى ندى يدي** □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
[الزخرف:88-89].

كان عبدالعزيز بن عبدالله الداركي الشافعي إذا جاءته مسألة تفكر
طويلاً ثم أفتى فيها، فربما كانت فتواه خلاف مذهب الشافعي وأبي حنيفة،
فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم، حدّث فلان عن فلان عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا، والأخذ بالحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة إذا خالفاه⁽³⁾.

(1) بدائع الفوائد (3/1286).

(2) ومن العجيب: أن حلقة (التصوير الفوتغرافي) التي اجتمع فيها خمسة رجال هي
تلخيص حرفي لكتاب: (الفن المعاصر.. صورته وآثاره) لعلي العمري!!

(3) المنتظم (14/314).

الإفتاء بما يخالف الإجماع:

- من مخالفة الإجماع⁽¹⁾ قول الدكتور (قيس المبارك): بجواز حضور أعياد الكفار⁽²⁾.
- وقول الدكتور (مسفر القحطاني) في صحيفة الوطن: بجواز تهنئة الكفار بأعيادهم، حاكيا الخلاف في المسألة، ناسباً لابن تيمية القول بالجواز⁽³⁾، في جهل واضح بالمسألة، وخلط بين المناسبات العادية والأعياد الدينية.
- وقول الدكتور (محمد النجيمي): بجواز تهنئة الكفار بأعيادهم ناسباً ذلك لابن القيم!!⁽⁴⁾.
- وقول (علي العمري) في كتابه: (بيت الخبرة)⁽⁵⁾: بجواز الإقامة في بلاد الكفار للسياحة⁽⁶⁾.
- وتبعه آخر في برنامج للفتوى على قناة (دليل) وقال بعدم وجود دليل يمنع من الإقامة بين ظهراني الكفار لغير حاجة!!
- وقول طائفة: بإجازة الغناء والمعازف⁽⁷⁾.
- وقول آخر بإباحة التأمين التجاري⁽⁸⁾.
- وأفتت لجنة شرعية في قناة فضائية بجواز عمل المرأة مقدمة

(1) نقل ابن القيم الإجماع على تحريم تهنئة الكفار بأعيادهم. (1245/3).

(2) صحيفة عكاظ، العدد (3476)، التاريخ (17/1/1432هـ-2010/11/23م).

(3) صحيفة الوطن، العدد (2648)، التاريخ (21/12/1428هـ-2007/12/30م).

(4) النوازل الاجتماعية الناشئة خارج ديار الإسلام، ص 28-29.

(5) ص (69).

(6) قال ابن كثير عند قوله تعالى: **حَٰجِّجِدِي...حَٰجِّجِدِي** [النساء:97]: (هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع). تفسير القرآن العظيم (421/1).

(7) قال شيخ الإسلام: (فمن فعل هذه الملاهي على وجه الديانة والتقرب فلا ريب في ضلأته، وإذا كان على وجه التمتع فمذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو حرام كلها، لما أخبر أنه يكون في أمته من يستحل المعازف، والمعازف: عند أهل اللغة: الملاهي. ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو نزاعاً، ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو على ثلاثة أقوال..). الفتاوى العراقية (741/2). ونقل الشيخ الموفق: ذياب بن سعد الغامدي عن واحد وثلاثين عالماً نقلوا الإجماع على تحريم الغناء والمعازف. الريح القاصف، ص (163-173).

(8) أفتت المجمع الفقهي المعاصرة بتحريم التأمين بأنواعه.

للبرامج فيها⁽¹⁾.

وقال الدكتور (قيس المبارك) بجواز تمثيل الصحابة بضوابط⁽²⁾،
خلافاً لما أفتت به المجامع الفقهية من تحريم ذلك⁽³⁾.

وهؤلاء الذين يفتون على خلاف النص -السالم من المعارض- أو
الإجماع لا يجوز تقليدهم ولا الأخذ عنهم، قال القرافي: (كل شيء أفتى
فيه المجتهد فخرجت فتواه فيه على خلاف الإجماع، أو القواعد، أو
النص، أو القياس الجلي السالم عن المعارض الراجح لا يجوز لمقلده أن
ينقله للناس، ولا يفتي به في دين الله)⁽⁴⁾.

تقّم المسائل التي لها صلة بالسياسة الشرعية:

ومن تقّم المسائل التي لها صلة بالسياسة الشرعية قول أحدهم في
برنامج للفتوى على قناة (دليل) بجواز بيع العقارات على الرفضة⁽⁵⁾.
وقول أحدهم بصحة ولاية الكافر النصراني على المسلمين وتحريم
مقاومته!!

وقد أحصيت في السنوات الأخيرة ما يزيد على أربعين فتوى
للمتصدرين لها في القنوات والمجلات تعارض النص الصحيح السالم من
المعارض والإجماع، ولعلّ الله يبسر أفرادها في رسالة قيماً بواجب
الاحتساب.

منشأ الخطأ عند هؤلاء:

لا عجب أن يخبط الواحد من هؤلاء في الفتوى ويخطئ، فأكثرهم لا
يعرف الفتوى: فقهاً وشروطاً، شاهد جهلهم: حكاية الخلاف في كل مسألة
يستفتيهم فيها العوام، وهل العامي يفهم الخلاف أو يدرك معناه؟ وهل
يستطيع الترجيح بين الأقوال حتى تعرضها عليه؟ أم تريد أن ينتقي منها ما
يشاء؟ إن الفتوى: ذكر ما يعتقده المفتي. أما عرض الأقوال، وسرد

(1) مجلة نون، العدد (31)، التاريخ رجب-شعبان 1430هـ، ص(67)، مقابلة مع
(فهد الشميمري) رئيس مجلس إدارة قناة المجد.

(2) صحيفة عكاظ، العدد (3490)، التاريخ (1432/2/2هـ-2011/2/6م).

(3) أفتى المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع البحوث الإسلامية في
الأزهر، وهيئة كبار العلماء في السعودية بتحريم تمثيل الصحابة {.

(4) الفروق (546/2).

(5) عن مخطط الرفضة في شراء العقارات في الخليج وعلاقة إيران بذلك، ينظر:
حركة التشيع في الخليج العربي، عبدالعزيز البداح، ص(252).

المذاهب، فهذا في الكتب والمناظرات والدروس لا في الفتوى لأن عقول العوام لا تحتل ذلك.

وإذا عرض العامي نازلته على المفتي، فهو قائل له: أخرجني عن هواي، دلني على اتباع الحق، فلا يمكن والحال هذه أن يقال له: في مسألتك قولان، فاختر لشهوتك أيهما شئت، فإن معنى هذا تحكيم الهوى دون الشرع⁽¹⁾.

ومن أسباب الخطأ عند هؤلاء أيضاً احتجاجهم بالخلاف، والاعتماد عليه حجة ودليلاً، وهذا غير سائغ (فربما وقع الإفتاء في المسألة بالمنع، فيقال: لم تمنع والمسألة مختلف فيها فيجعل الخلاف حجة في الجواز لمجرد كونها مختلفاً فيها، لا لدليل يدل على صحة مذهب الجواز، ولا لتقليد من هو أولى بالتقليد من القائل بالمنع، وهو عين الخطأ على الشريعة حيث جعل ما ليس بمعتمد معتمداً وما ليس بحجة حجة)⁽²⁾.

ومن أسباب وقوع هؤلاء في الغلط جرأتهم على الفتوى وتسابقهم عليها، (أو ما علموا أن المفتي مخبر عن الله تعالى، وأن من كذب على الله تعالى أو أخبر عنه مع عدم ضبط ذلك الخبر فهو عند الله تعالى بمنزلة الكاذب على الله؟ فليتنق الله امرؤ في نفسه ولا يقدم على قول أو فعل فيه عطبه وهلاكه)⁽³⁾.

ومن أسباب وقوع هؤلاء في الغلط أن جعلوا أهواءهم حاكمةً على الشريعة: استحساناً، أو مسايرةً ورضوخاً للواقع، أو تطلباً لرضا من يرجونه. وهذا مخالف لأصل الشريعة.

قال الشاطبي (ت: 790هـ): (اعلم أن الشريعة موضوعة لإخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله)⁽⁴⁾.

ومن أسباب وقوع هؤلاء في الغلط دعوى أنهم مجتهدون وأن لهم النظر في الأدلة والترجيح بينها ولذا وقعوا في مخالفة المتقدمين.

قال الشاطبي (ت: 790هـ): (قلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا ممن أدخل نفسه في أهل الاجتهاد غلطاً أو مغالطة)⁽⁵⁾.

بل إنهم أصبحوا يطالبون في ندواتهم ومطاراتهم بفتح باب

(1) الموافقات للشاطبي (132/4).

(2) الموافقات (141/4).

(3) الفروق، بتصرف يسير جدا (545-546/2).

(4) الاعتصام (308/3).

(5) الموافقات (286-287/3).

ومما يدل على خطورة منهج هؤلاء وأنه لا ينضبط بضابط النص ويجنح إلى مسايرة الواقع ما ذكره أحدهم في برنامج (قصة فتوى) على قناة دليل من أن شاباً من هواة التصوير عرضت عليه قناة تويتر شراء صور منه بعشرة آلاف دولار... وعليه فيجب إعادة النظر في مسألة التصوير من نظرة مقاصدية!!

وهذا الكلام يدل على أن أهله غير مخولين بالفتوى وأنهم يتكلمون بأهوائهم وآرائهم لا بالأدلة الشرعية والقواعد العلمية المعتمدة. ولهذا فهم يدعون الناشئة إلى الجرأة على أحكام الشريعة، والأخذ منها بما يوافق الأهواء ويساير الواقع.

فسوّد (أحدهم) كتاباً من مائة وست وعشرين صفحة عرض فيها جملة من المسائل الشرعية: (الاجتماع للذكر، الذكر الجماعي، كشف وجه المرأة، تخفيف اللحية...) عرض فيها الخلاف. وفي أول الكتاب خاطب الناشئة بقوله: (أن الأوان لبث الوعي، وتحريك الضمائر، وتوير العقول، بعيداً عن التمسك بآراء أحادية، أو النهل من كتب محددة، أو تقنين الفتوى من جهات معينة!!)⁽¹⁾.

وقال آخر بلغة أكثر صراحةً ووضوحاً: (فهم في وطني زرعوا في عقلي مذهباً فقهياً واحداً يميل للتشدد في فتواه، ويحيط المباح بدوائر متعددة من المحرمات، بناء على قاعدة سد الذرائع، حتى لا يتحول المباح إلى محرم أو يكون طريقة له، هكذا نشأت وتربيت لا أعرف إلا هو، ولا علماء عندي إلا علماؤنا، ولكن بعد العولمة وثورة الاتصال عرفنا نحن المواطنين ما كان مجهولاً، وأدركنا أن لنا عقولاً، ولكن بعد فوات الأوان، فعندما اضطروا في وطني لبعض الفتاوى الميسرة، قال المجتمع: لا؛ لأنه تربي على الأقوال المتشددة، وهذا الخوف على وطني، فوصية يا أولادي لا تؤجروا عقولكم لبشر...)⁽²⁾.

(1) قضايا دعوية، علي العمري ص(7).

(2) مقال بعنوان: (مات المواطن المهزوم)، عبد الله الجميلي، صحيفة المدينة، التاريخ (19/4/1431هـ-4/4/2010م).

حادي عشر حب الرياسة والتطلع إليها

النفوس مجبولة على حب الرياسة والتطلع إليها، لأنها من الجاه الذي يميل إليه الناس بطبعهم.

قال سفيان الثوري (ت: 161هـ): (ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة، حامى عليها، وعادى)⁽¹⁾.

وقال إسحاق بن خلف: (والله الذي لا إله هو لإزالة الجبال الرواسي أيسر من إزالة الرياسة)⁽²⁾.

وقال الشاطبي (ت: 790هـ): (آخر الأشياء نزولاً من قلوب الصالحين: حب السلطنة والتصدر)⁽³⁾.
وكما قيل:

حب الرياسة داء لا دواء له وقلّ ما تجد الراضين بالقسم⁽⁴⁾

وحب الرياسة والعلو في الأرض من أمراض القلوب، وهذا المرض مركب من مرض الشبهة والشهوة، فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد، وإرادة باطلة، كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم⁽⁵⁾.

لكن طالب العلم يجاهد نفسه على قطع علائق الأمل بها، وذلك أن

(1) سير أعلام النبلاء (262/7).

(2) جامع بيان العلم وفضله (572/1).

(3) الاعتصام (175/2).

(4) جامع بيان العلم وفضله (573/1).

(5) مفتاح دار السعادة (305-306/1).

الرياسات إن لم تحصل بقي القلب منشغلاً بها، فيندفع صاحبها إلى التملق والتزلف طلباً لها، وربما باع دينه لأجلها، فإن لم يتحصل عليها مات كمداً وقضى غيظاً وحنقاً، وإن حصل عليها - بعد تطلب واستشراف - لم يعن عليها ووكل إلى نفسه فكانت سيرته فيها غير مرضية نعوذ بالله من ذلك.

وشأن طالب العلم مع هذه الرياسات هو النهج النبوي المتمثل في الإعراض عنها وعدم الاستشراف لها فإن جاءته من غير مسألة ولا استشراف أعين عليها.

وهذا هو شأن السلف الصالح إذ كانوا يتباعدون عن الرياسات ولا يتطلبون المناصب.

وذلك أن للرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة الخمر بكثير، ومحال أن يرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه..(1).

والفتنة بالمال هي فتنة هذه الأمة؛ فعن كعب بن عياض رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال)(2).

فما أكثر من يقع في حبائله، فيتساهل في تحصيله وبأدنى الحيل، وأحياناً يكون العوض الذي يقدمه دينه وتقواه.

قال الذهبي (ت:748هـ): (ما أقبح بالعالم والداعي إلى الله الحرص وجمع المال)(3).

والأصل في التحذير من طلب الشرف والرياسة قوله صلى الله عليه وسلم: **ما ذنبان جائعان أرسلنا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**(4).

فهذا مثل عظيم جدا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذنبيين جائعين ضاربيين باتا في الغنم قد غاب عنها

(1) بدائع الفوائد (1061/3).

(2) أخرجه أحمد (17471)، والترمذي (2336) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(3) السير (482/17).

(4) أخرجه أحمد (15794)، والترمذي (2376).

رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من إفساد الذنبيين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذنبيين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذنبيين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا⁽¹⁾.

وشاهد هذا: أنك ترى من أصحاب الرياسات - ممن حرم التوفيق والإعانة - يحرم الخير ويصرف إلى الشر، وتكون ولايته وبالاً عليه في الدنيا قبل الآخرة، وبعضهم يتصرف في ولايته تصرفات المجانين، لأن الرياسة غرته وخدعته.

قال الفضيل بن عياض (ت: 187هـ): (ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير)⁽²⁾.

وشاهد آخر: أن صاحب الرياسة لم يصل إليها إلا بعد أن فقدها من قبله إما بموت أو عزل أو عجز ومع ذلك لا يعتبر.

فهذا الإمام الحجة عالم الجزيرة ومفتيها ميمون بن مهران (ت: 117هـ) يقول نادماً على الولاية: (إني وددت أن أصبغى قطعت من هاهنا، وأني لم أَلِ لعمر بن عبدالعزيز ولا لغيره)⁽³⁾.

ودعا الوالي الإمام محمد بن واسع (ت: 123هـ) فقال له: اجلس للقضاء، فأبى. فعأوده وقال: لتجلسن، أو لأجلدتك ثلاثمائة، قال: إن تفعل، فإنك مسلط، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة⁽⁴⁾.

وقال أيضاً: (وددت أن إحدى عيني ذهبت، وأني لم أَلِ عملاً قط)⁽⁵⁾.

وامتنع منصور بن المعتمر الحافظ التابعي (ت: 133هـ) عن القضاء وجيء بالقيّد ليقيد، فقيل للأمير: (لو نثرت لحمه لم يل القضاء فتركه)⁽⁶⁾.

وحبسه الوزير ابن هبيرة شهراً على القضاء يريده عليه، فأبى،

(1) شرح حديث [ما ذنبان صانعان] ص(7).

(2) جامع بيان العلم وفضله (571/1).

(3) سير أعلام النبلاء (72/5).

(4) سير أعلام النبلاء (122/6).

(5) المصدر السابق (72/5).

(6) سير أعلام النبلاء (406/5).

وقد صنّف أبو بكر الأجرى (ت: 360هـ) مصنفاً في أخلاق العلماء وآدابهم وصف فيه عالم السوء بأوصاف منها أنه فتن (بحب الثناء والشرف، والمنزلة عند أهل الدنيا، يتجمل بالعلم، كما يتجمل بالحلة الحسنة للدنيا..)(1).

قال ابن رجب (ت: 795هـ): (فهذا كلام الأجرى في أواخر الثلاثمائة ولم يزل الفساد بعده متزايداً على ما ذكرناه أضعافاً مضاعفة فلا حول ولا قوة إلا بالله)(2).

والأصل في هذا أن يكون الداعية أو العالم داعيةً إلى الله وحده لا داعياً إلى نفسه، كما قال تعالى: *حِجِّيذْتَجْ [يوسف: 108]*. قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت: 1205هـ): (في الآية تنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه)(3).

ومن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم الله وحده وإفراده بالعبودية والإلهية... وطلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد أفحش من طلبها بالمال وأقبح وأشد فساداً وخطراً فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى، والنعيم المقيم، والقرب منه، والزلفى لديه. ومن يطلب بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق والتعظيم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعون له، ويصرفون وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء ليعلو به عليهم، فهذا موعده النار؛ لأن قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان(4).

فقد يدعي بعض طلاب العلم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم وإحسان ظنهم بهم وكثرة أتباعهم، والتعظيم بذلك على الناس.. فلماذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد(5).

(1) أخلاق العلماء، ص(34).

(2) شرح حديث (ما نئبان جائعان)، ص(38).

(3) كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد، ص(101).

(4) شرح حديث (مأذبان جائعان)، ص(45) وما بعدها.

(5) فضل علم السلف، ص (41-42).

ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة، منهم أيوب السختياني وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم من العلماء الربانيين⁽¹⁾.

وقال أيوب السختياني (ت:131هـ): (ما صدق عبد قط، فأحب الشهرة)⁽²⁾.

وقال أيضاً: (ذكرت، ولا أحب أن أذكر)⁽³⁾.

وقال شعبة (ت:160هـ): (ربما ذهبت مع أيوب لحاجة، فلا يدعني أمشي معه، ويخرج من هاهنا، وهاهنا لكي لا يفطن له)⁽⁴⁾.

وقال سفيان الثوري (ت:161هـ): (السلامة في أن لا تحب أن تعرف)⁽⁵⁾.

وقال عبيدالله بن الحسن العنبري (ت:168هـ): (لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل)⁽⁶⁾.

قال أبو هلال الراسبي (ت:165هـ): (ما كان بالبصرة أعلم من حميد بن هلال ما أستثنى الحسن ولا ابن سيرين غير أن الشهرة أضرت به)⁽⁷⁾.

وقال الإمام أحمد بن حنبل (ت:241هـ): (طوبى لمن أخل الله نكره)⁽⁸⁾.

وقال أيضاً: (أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بليت بالشهرة...)⁽⁹⁾.

وحب الظهور والبحث عن الشهرة واتخاذ العلم والدين سبيلاً لذلك من علامات ضعف الإيمان. وإيثار الخمول والتواضع من علامات التقوى والفلاح.

قال إبراهيم بن أدهم (ت:162هـ): (من طلب العلم لله، كان الخمول

(1) شرح حديث (مأثبان جائعان) ، ص(67).

(2) سير أعلام النبلاء (20/6).

(3) سير أعلام النبلاء (22/6).

(4) سير أعلام النبلاء (22/6).

(5) السير (258/7).

(6) تاريخ مدينة السلام (9/12).

(7) سير أعلام النبلاء (310/5).

(8) سير أعلام النبلاء (207/11).

(9) سير أعلام النبلاء (216/11).

أحب إليه من التطاول⁽¹⁾.

قال علي بن إبراهيم الحصري الواعظ (ت: 371هـ): (وجدت من يدعو إنما يدعو إلى الله بظاهره، ويدعو إلى نفسه بباطنه، لأنه يحب أن يُعظم، وأن يُشار إليه، ويُعرف موضعه، ويُثنى عليه الثناء الحسن، وإذا أحب محبة الخلق له وتعظيمهم إياه فقد دعاهم إلى نفسه، لا إلى ربه)⁽²⁾.

ومن صور حب الشرف والمكانة الرد على العلماء لغير غرض بيان الحق وإيضاحه.

إذ ما زال العلماء قديماً وحديثاً يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التواليف، ويمثل ذلك يتفقه العالم، وتبهرن له المشكلات، ولكن في زماننا قد يعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته، ولطلبه الظهور والتكثر⁽³⁾.

وحب الظهور يدفع صاحبه إلى الظهور بمظهر العلماء أو الصالحاء وتقمص هيئاتهم وهو ليس منهم.

والأسوأ من هذا أن ينفرد بقول أو يختار رأياً لم يسبق إليه ليصرف وجوه الناس إليه. قال ابن تيمية (ت: 728هـ): (كل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم، فإنه يكون خطأ، كما قال الإمام أحمد: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام)⁽⁴⁾.

ومن طلب الشرف والسؤدد مDAHنة المنافقين ومساندة المنحرفين حتى ينال رضاهم ويدرك دنياهم.

ومDAHنة المنافقين والكافرين سبيل لهدم الدين وقلب الموازين وتغيير مراسيم الشريعة. وهذا غرضهم ومرامهم. قال تعالى: *يُؤْوِجُ وَوَجَّ [القلم: 9]*. والمعنى: ودوا لو تلبين فيلينون لك⁽⁵⁾.

وفي القديم والحديث مالا المخذولون المنافقين فارتدوا على دينهم بالعيب وعلى أهله بالذم مناوءة للمؤمنين ومساندة للمنافقين.

فالعلامة أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي كان مالكيّاً فارتد إلى مذهب الباطنية، ونبذ الدين وراء ظهره، وألّف في المناقب والمثالب، وردّ على أئمة الدين، وانسلخ من الإسلام، وصنّف في الرد على

(1) السير (394/7).

(2) المنتظم (286/14).

(3) السير (500/12).

(4) الفتاوى (291/21).

(5) تفسير القرطبي (230/17).


أبي حنيفة في الفقه، وعلى مالك، والشافعي، فعين قاضياً للدولة العبيدية، فسحقاً له وبعداً(1).

ويحمل العبد على ممالأة المنافقين واللاحق بالمنحرفين النكاية بأهل الحق لأنه يشعر أن لم يلق من المكانة والمنزلة عندهم ما يستحقه - في زعمه - فيعود عليهم ذماً وتنقيصاً.

وتأمل في حال المنحرفين ممن لحق بالمنافقين ستجد أنهم ذهبوا يبحثون عن الشهرة والظهور بعد الضمور والخمول، ويلتمسون التقدم والتصدر بعد التأخر. وذلك أن أهل النفاق يملكون الإعلام ووسائل الظهور فيبعثون من يمالئهم ويظهرون من يداهنهم. وكل من أراد الظهور فما عليه إلا أن يقدم القرابين على صخور النفاق والمداهنة.

كان (يوسف) إماماً لأحد المساجد في جدة، و(ياسر) إماماً لمسجد في الرياض، و(تركي) يتردد على دروس المشايخ والعلماء، و(بدر) يشتغل بالدعوة فاستهواهم الظهور فذهبوا يبحثون عنه فلم يكن أمامهم إلا التخلي عن السيرة الأولى والطريقة القديمة!!

ف(يوسف) يكتب في الشرق الأوسط، و(ياسر) في صحيفة عكاظ، و(تركي) يعمل في قناة العربية، و(بدر) مسئولاً عن الملحق الثقافي في صحيفة الرياض.

ويجب أن يفهم هؤلاء وغيرهم ممن على شاكلتهم أن استكتابهم واستقطابهم لم يكن لكفاءتهم، فإن أهل الأهواء لا يبحثون عن الكفاءة ولا يبتدونها لأنهم ليسوا من أهلها.. وإنما شفت لهم مقالاتهم التي سودوها في التعرض لأهل العلم وأحكام الإسلام.. فهم كالنائحة المستأجرة أجرتها على قدر عويلها.. ومتى ما انقضت حاجتهم منهم لفظوهم لفظ النواة.. ألا ما أبأس القوم  [الحج:18].

ومن صور حب الشرف والسؤدد تطلب الاتباع بمواجهة السلطة ومنازلة السلطان.

وليعلم هنا أن القبول والمكانة عند الخلق لا تباع ولا تشتري وإلا لاشتراها الملوك والأغنياء، وإنما هي منحة يمنحها الله للأولياء من عباده، وسبيلها الصدق مع الله والإقبال عليه والزهد فيما أيدي الناس.

قال الإمام الرباني محمد بن واسع (ت:123هـ) لرجل طلب وصيته: (أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة. قال: كيف؟ قال: ازهد في

(1) تاريخ الإسلام، حوادث (351هـ-380هـ) ص (316). السير (150/16).

الدنيا).

وقال أيضا: (إذا أقبل العبد بقلبه على الله، أقبل الله بقلوب العباد عليه)⁽¹⁾.

والباحثون عن الشهرة واللاهثون خلف الظهور يتتبعون سرايا بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عند فوفاه حسابه والله سريع الحساب، وحينئذ يندمون ولات ساعة مندم. وسيذكر التاريخ ما سيؤول إليه أمر هؤلاء من الانزواء والخمول، والضياع والضمور، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ومصدق هذا قول ابن عمر <: (إنما أهلك الناس العجب وطلب الرياسة، وهذا يضمحل عن قليل)⁽²⁾.

(1) السير (121/120/6).
(2) ترتيب المدارك (35/1).

ثاني عشر الدخول على السلاطين

يجوز للعالم الدخول على السلطان أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر أو واعظاً ومذكراً إن كان قادراً على ذلك مع أمن الفتنة من الاغترار بدنياهم، أو تحسين أفعالهم المخالفة للشرع، أو السكوت عن منكر يراه. أما الدخول لغير هذا المقصد فلم يكن من منهج السلف ولا عملهم. بل عظم تحذيرهم واشتد نكيرهم على من فعل ذلك؛ لأن الدخول على السلاطين من أسباب الافتتان، قال صلى الله عليه وسلم: **ممن سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن** (1).

قال حذيفة بن اليمان <: (أبوابهم مواقف الفتن) (2).

وعن سلمة بن نبيب الأشجعي قال: قلنا لأبي رضي الله عنه: ألا تأتهم؟ قال: (إني أخاف أن أشهد منهم مشهداً يدخلني النار) (3).
ومن المعلوم أن علماء أهل السنة، كمالك وأحمد وغيرهما، من أبعد الناس عن مداهنة الملوك أو مقاربتهم (4).

قال ميمون بن مهران (ت: 117هـ): (ثلاث لا تبلون بها نفسك: لا تدخل على السلطان، وإن قلت أمره بطاعة الله) (5).

وقال سفيان (161هـ): (إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيت يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مرء، وإياك أن تخدع، ويقال لك: ترد مظلمة، وتدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس، اتخذها القراء

(1) أخرجه أحمد (3362)، وأبوداود (2859)، والترمذي (2256)، والنسائي (4309) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (238/15) وغيره.

(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات (30/6).

(4) منهاج السنة (130/4).

(5) سير أعلام النبلاء (77/5).

سلما(1).

وقال عبدالرحمن بن القاسم - عالم الديار المصرية ومفتيها - (ت:191هـ): (ليس في قرب الولاية ولا في الدنو منهم خير)⁽²⁾.
وقال أيضا: (ما أعلم في فلان عيباً إلا دخوله على الحكام، ألا اشتغل بنفسه)⁽³⁾.

وقال بشر الحافي (ت:227هـ): (ما أفبح أن يقال: أين فلان العالم؟ فيقال: بباب الأمير)⁽⁴⁾.

وقال سحنون (ت:240هـ): (ما أفبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه، فيسأل عنه، فيقال: هو عند الأمير، هو عند الوزير، هو عند القاضي، فإن هذا وشبهه شر من علماء بني إسرائيل)⁽⁵⁾.

وكان الإمام أحمد (ت:241هـ) رحمه الله لا يأتي الخلفاء ولا الولاية والأمراء ويمتنع من الكتابة إليهم مطلقاً، وينهى أصحابه عن ذلك مطلقاً⁽⁶⁾.

وقال مهنا: (سألت أحمد (ت:241هـ) عن إبراهيم الهروي؟ فقال: رجل وسخ. فقلت: ما قولك إنه وسخ؟ قال: من يتبع الولاية والقضاة فهو وسخ)⁽⁷⁾.

وهذا هو دأب علماء الآخرة فإن من صفات علماء الآخرة: أن يكونوا منقبضين عن أهل الدنيا كالسلاطين، محترزين من مخالطتهم، فإن الدنيا حلوة خضرة، وزمامها بأيدي السلاطين، والمخالط لهم بعيد عن السلامة من وجوه؛ منها: أنه يجب عليه الإنكار، وقد يقدر عليه فلا يفعله، فيصير مداهنًا، وربما حسّن أحوالهم القبيحة طمعاً في أموالهم الكدرة، وأقل الأحوال أن يرى نعيمهم فيزدري نعمة الله عليه⁽⁸⁾.

وتورّع قوم عن الرواية عن المحدث طراد بن محمد بن علي بن أبي

(1) سير أعلام النبلاء (586/13).

(2) سير أعلام النبلاء (121/9).

(3) سير أعلام النبلاء (122/9).

(4) منهاج القاصدين (405/1).

(5) ترتيب المدارك (357/1).

(6) الآداب الشرعية (128/4).

(7) الآداب الشرعية، لابن مفلح (129/4).

(8) منهاج القاصدين، لابن الجوزي (70/1).

تمام (ت: 491هـ) لصحبته للسلطين⁽¹⁾. وكان شيخ المالكية خلف بن أبي القاسم المغربي المالكي (ت: 430هـ) مبغضاً عند أصحابه لصحبته سلاطين القيروان⁽²⁾.

وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسُن في أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مدهانتهم وترك الإنكار عليهم⁽³⁾.

وفي القديم والحديث دخل أناس على السلاطين فلم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر ولم يصدّقوهم النصيحة، وهؤلاء مع مقت الله لهم وغضبه عليهم أدركهم مقت الناس وبغضهم.

وقد كان السلف يبعثون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم ولاة الأمور لحاجتهم إليهم في الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للأمراء وحملوها إليهم لينالوا من دنياهم⁽⁴⁾.

والدخول على السلاطين هو الباب الذي دخل منه علماء الدنيا لنيل الشرف والرياسات فيها⁽⁵⁾.

قال الذهبي (ت: 748هـ): (فتأمل هذه الكلمة الجامعة، وهي قوله: **Mالدين النصيحة**، فمن لم ينصح لله وللأئمة وللعمامة، كان ناقص الدين، وأنت لو دعيت: يا ناقص الدين، لغضبت. فقل لي: متى نصحت لهؤلاء؟ كلا والله، بل ليتك تسكت ولا تنطق، أو لا تحسن لإمامك الباطل، وتجرتة على الظلم وتغشه.

فمن أجل ذلك سقطت من عينه، ومن أعين المؤمنين، فبالله قل لي: متى يفلح من كان يسره ما يضره؟ ومتى يفلح من لم يراقب مولاه؟ ومتى يفلح من دنا رحيله؟ وانقرض جيله، وساء فعله وقبيله؟ فما شاء الله كان، وما نرجو صلاح أهل الزمان، لكن لا ندع الدعاء، لعل أن يلطف بنا، وأن يصلحنا⁽⁶⁾.

وجرى الأمر في القديم والحديث أن بعض المخدولين ينظر ما ترى

(1) المنتظم، لابن الجوزي (44/17).

(2) ترتيب المدارك (17/2).

(3) تلبيس إبليس، ص (118).

(4) تلبيس إبليس، ص (119).

(5) شرح حديث (مادئبان جائعان)، ابن رجب، ص (61).

(6) سير أعلام النبلاء (500/11).

السلاطين فيظهره ويدعو إليه وإن كان بخلاف الحق أو ما يعتقد. وخذ على ذلك مثلاً فإنه لما جاءت الدولة النظامية في القرن الخامس التي تبنت المذهب الشافعي في الفروع والأشعري في العقيدة فعظم فيها شأن الأشاعرة قام كثير من أصحاب المذاهب بالنفاق، فتوثقوا بالمذهب الأشعري والشافعي طمعاً في العز والجرایات⁽¹⁾.

وشهد التاريخ أن المتقربين من السلطين والولاة تحصل لهم نكبات فيقصون بعد أن كانوا يدنون ويبيعدون بعد أن كانوا يقربون فيتحول الواحد منهم إلى شريد طريد لا يعبا به ولا يهتم له.

وكان القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي (ت: 240هـ) مقرباً من الخلفاء وهو الذي شغّب على الإمام أحمد، وأفتى بقتله، فمرض بالفالج قبل موته بأربع سنين، وغضب عليه الخليفة (المتوكل) وأهله فنكّب وصودرت أمواله وأموال أهله والحمد لله رب العالمين⁽²⁾.

وكان الشيخ الواعظ علي بن الحسين الغزنوي (ت: 551هـ) ذا جاه عظيم عند السلطان فلما مات السلطان حُيس الغزنوي ومُنِع من الوعظ. وما زال يلقى الذل بعد العز الوافي حتى إنه قال: من الناس من الموت أحب إليه من الحياة وهو يعني نفسه⁽³⁾.

وكان الفقيه الواعظ زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الدمشقي الحنبلي المعروف بابن نجية (ت: 599هـ) ذا جاه وسؤدد واتصال بالدولة، اقتنى أموالاً عظيمة، وتنعم تنعماً زائداً، حيث كان في داره عشرون جارية للفراش، وكان يعمل له من الأطعمة ما لا يعمل للملوك، أعطاه الخلفاء والملوك أموالاً جزيلة، ومع هذا مات فقيراً ولم يخلف كفناً فكفنه بعض أصحابه⁽⁴⁾.

ومالاً القاضي أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي (ت: 633هـ) حكام زمانه، اجتاز (إربل) فوجد ملكها مظفر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد النبوي فعمل له كتاب (التنوير في مولد السراج المنير) وقرأه عليه فأجازه بألف دينار.

وخرج السلطان الكامل ملك مصر إلى (الشام) وخرج معه أبو الخطاب بن دحية فحضرت صلاة المغرب فقدم السلطان ابن دحية فصلى

(1) المنتظم، لابن الجوزي (25/17).

(2) مرآة الجنان (92/2).

(3) المنتظم، لابن الجوزي (108-110/18)، البداية والنهاية (378/16).

(4) مرآة الزمان (515/8).

بهم المغرب وقصرها، فلما أن فرغ، قال له شيخ معهم: ما أعلم أحداً من الأئمة يجوز قصر صلاة المغرب في السفر. فقال ابن دحية: كيف لا وقد أخبرنا فلان عن فلان. وسرد إسناده إلى رسول صلى الله عليه وسلم أنه قصر المغرب في السفر.

وقد كان الملك الكامل مقبلاً عليه فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث التي ولاء مشيختها وأهانه⁽¹⁾.

وخدم الإمام الكبير صاحب النظم الفائق جمال الدين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح الصعيدي (ت: 649هـ) مع الملك الصالح نجم الدين وولي نظر الخزانة له لما تسلطن بمصر، ثم وزر له بدمشق، ثم عزله وتغير عليه⁽²⁾.

وتغير السلطان على الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي (ت: 676هـ) بعد شدة خضوعه عليه وانقياده إليه، وعقد له مجلساً، وأحضر له من خافقه، ونسب إليه أموراً فظيعة، وأشاروا فيها بقتله ثم حبسه إلى أن توفي⁽³⁾.

وصحب الشيخ الفقيه أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني الشافعي (ت: 870هـ) الأكابر من الأمراء والمباشرين فحظي عندهم، وبعد صيته، ورتبت له المرتبات، وصار يعد من الأعيان في القاهرة... ثم وثبي به إلى السلطان فقبض عليه وسجن وضرب ثمانين سوطاً ونفي وأخرج من التدريس بالمدرسة البرقوقية وخرج بعد أن باع أثاثه وأخرجت وظائفه ومرتبته إلى دمشق⁽⁴⁾.

وهؤلاء الذين يستعملون الدين للوصول إلى الدنيا هم سفلة الناس، ولذا يشتد مقت الناس لهم، قيل لعبدالله بن المبارك، من السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم⁽⁵⁾.

وأذكر لزاماً في هذا المقام شاهداً من زماننا، لما افتتحت جامعة (كاوست) وهي مختلطة بين الجنسين كيف تدافع المساكين إلى القول بإباحة الاختلاط، بل أعماهم التدافع: طمعاً وتزلفاً.. وافتروا على الشريعة إذ قالوا: بأن مصطلح الاختلاط مصطلح حادث غير معروف في الفقه

(1) وفيات الأعيان (2/214). البداية والنهاية (17/224).

(2) سير أعلام النبلاء (23/273).

(3) مرآة الجنان (4/141).

(4) عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران (1/61).

(5) السير (8/399).

الإسلامي!! ألا ما أقبح الكذب.

ولمّا حصل توسع في عمل المرأة وتعليمها على نحو يخالف الشريعة.. تدافع هؤلاء يزيّنون الباطل ويحسّنون المنكر ويفتحون الأبواب.. على أن الفقه والسياسة والعقل والحكمة تقضي بالتشدد إذا حصل من الناس تساهل في أمر من الأمور!!.

فأحدهم: يفتي في صفحة عكاظ الأولى بجواز ممارسة المرأة للرياضة، وآخر: يجيز تعيين المرأة عضواً في هيئة كبار العلماء، وثالث: يقرر بأن لبس المرأة للثوب الواسع كافٍ ولا حاجة إلى العباءة، ورابع: على صفحة الرياض الأولى يجيز الرياضة في مدارس البنات.. وخامسهم: يرى أن تولي المرأة للمناصب القيادية أصبح ضرورة ملحة الآن في ظل الأوضاع الراهنة.

وهكذا في نماذج كثيرة...!؟

وهؤلاء الذين طلبوا العلو لن يزدادوا إلا سفالاً؛ لأن السلاطين وغيرهم يعلمون أنهم كذابون مدهنون، ومن طبيعة البشر أنهم يمقتون التزلف ويبغضون أهله.

وقد ذكر شيخ الإسلام (ت:728هـ) أن علامات أهل البدعة والفرقة والنفاق أنهم يصنّفون لأهل السيف والمال من الملوك والوزراء وغير ذلك، ويتقربون إليهم بالتصنيف فيما يوافقهم⁽¹⁾.

فهم في انتظار تصرف الوالي لتبريره على ضوء الشرع المطهر حتى هزأ بهم كبار الأجراء، وقالوا: فتياً بفرخة⁽²⁾.

وإنك لتشفق على هؤلاء عندما تراهم يبحثون عن العلو ويطلبون المكانة عند أبواب السلاطين وعتبات الملوك.. وغاب عنهم أن أمر الطالب والمطلوب بيد علام الغيوب.

قال ابن القيم (ت:751هـ) في كلام يهز المشاعر ويحرك القلوب: (رياء المرأين صيرّ مسجد الضرار مزبلة خربة جفّفت قج [التوبة:108] وإخلاص المخلصين رفع قدر التفث (رب أشعث أغبر).. قلب من ترائيه بيد من أعرضت عنه، يصرفه عنك إلى غيرك، فلا على ثواب المخلصين حصلت ولا إلى ما قصدته بالرياء وصلت، وفات الأجر والمدح فلا هذا

(1) الاستقامة (43/1).

(2) التعالم، بكر أبو زيد، ص(39).

ولا هذا(1).

(1) الفوائد، ص(395).

ثالث عشر الجدال والخصومة في الدين

نهى الله تعالى عن الجدل بغير علم، كقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّا سَأَلْتُم عَنِ الثَّمَنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ** [آل عمران:66].
ونهى عن الجدل في الحق بعد ظهوره، كقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا فِي اللَّهِ غَلًّا** [الأنفال:6].

ونهى سبحانه عن الجدل بالباطل، فقال: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا فِي اللَّهِ غَلًّا** [غافر:5].
ونهى عن الجدل في آياته، فقال سبحانه: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا فِي اللَّهِ غَلًّا** [غافر:4]⁽¹⁾.
قال قوام السنة (ت:535هـ): (كيف يجترئ عاقل على المراء والجدال بعد قول الله عزوجل: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا فِي اللَّهِ غَلًّا**)⁽²⁾.
وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا أَوْتُوا الْجِدَالَ** ثم قرأ: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا فِي اللَّهِ غَلًّا** [الزخرف:58]⁽³⁾.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة: أنهم يتقون الجدل في الدين والخصومات فيه⁽⁴⁾.

قال ابن قدامة (ت:620هـ): (ومن السنة ترك الجدل والخصومات في الدين)⁽⁵⁾.

والمذموم شرعا ما ذمّه الله ورسوله، كالجدل بالباطل، والجدل بغير علم، والجدل في الحق بعدما تبين.

(1) درء تعارض العقل والنقل (47/1).

(2) الحجة في بيان المحجة (489/2).

(3) أخرجه أحمد (22164)، والترمذي (3253)، وابن ماجه (48).

(4) عقيدة السلف أصحاب الحديث، الصابوني، ص(113).

(5) لمعة الاعتقاد، ص(159).

فأما المجادلة الشرعية، كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها، في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حُزْمًا كَمَا خُذُوا إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ﴾ [هود:32]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حُزْمًا كَمَا خُذُوا إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ﴾ [الأنعام:83]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حُزْمًا كَمَا خُذُوا إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ﴾ [البقرة:258]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حُزْمًا كَمَا خُذُوا إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ﴾ [النحل:125]. وأمثال ذلك فقد يكون واجباً أو مستحباً وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع⁽¹⁾.

وقد ذمّ السلف الجدال في الدين ورووا في ذلك أحاديث وهم لا يذمون ما هو الصواب⁽²⁾. قال عبدة بن أبي لبابة أحد الأئمة (ت:127هـ): (إذا رأيت الرجل لجوجاً مमारياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته)⁽³⁾. وقال الأوزاعي (ت:151هـ): (إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدال، ومنعهم العمل)⁽⁴⁾. وقال معروف الكرخي (ت:204هـ): (إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل، وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عليه باب العلم، وفتح عليه باب الجدال)⁽⁵⁾.

قال الذهبي (ت:748هـ): كان السلف يزجرون عن التعمق، ويبدعون أهل الجدال⁽⁶⁾. وجميع رؤوس الضلال كانوا أهل مرأء وجدال، فالجهم بن صفوان كان ذا جدال⁽⁷⁾، وهشام بن الحكم الرافضي المشبه صاحب نظر وجدل⁽⁸⁾، وهشام بن عمرو المعتزلي كان صاحب جدال⁽⁹⁾.

قال أبو حامد الإسفراييني الشافعي (ت:406هـ) لأحدهم: (لا تُعَلِّقْ كثيراً مما تسمع منا في مجالس الجدال، فإن الكلام يجري فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته، فلسنا ننكلم لوجه الله خالصاً، ولو أردنا

(1) درء التعارض (156/7).

(2) الحجة في بيان المحجة، قوام السنة (101/1).

(3) سير أعلام النبلاء (229/5).

(4) سير أعلام النبلاء (121/7).

(5) الحجة في بيان المحجة، قوام السنة (455/2).

(6) سير أعلام النبلاء (334/9).

(7) سير أعلام النبلاء (26/6).

(8) سير أعلام النبلاء (543/10).

(9) سير أعلام النبلاء (547/10).

لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تناولنا في الكلام، وإن كنا في كثير من هذا نبوء بغضب الله، فإننا نطمع في سعة رحمة الله⁽¹⁾.

ولذا فلم يكن الجدل والمناقضة والخلاف والمماحلة والأهواء المختلفة والآراء المخترعة من شرائع النبلاء ولا من أخلاق العقلاء ولا من مذاهب أهل المروءة ولا مما حكي عن صالحى هذه الأمة من السلف ولا من شيمة المرضيين من الخلف وإنما هو لهو يتعلم ودراية يتفكه بها ولذة يستراح إليها بمحق الأديان، وضراوة على التغالب واستمتاع بظهور حجة المخاصم، وقصد إلى قهر المناظر والمغالطة في القياس وبهت في المقولة وتكذيب الآثار وتسفيه لأحلام الأبرار، ومكابرة لنص التنزيل، وتهاون بما قاله الرسول ونقض لعدة الاجماع وتشتيت الألفة وتفريق لأهل الملة وشكوك تدخل على الأمة وضراوة السلاطة وتوغير القلوب وتوليد الشحناء في النفوس⁽²⁾.

ومما أنكره أئمة السلف الجدل والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضا ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام، وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها، وكل ذلك محدث لا أصل له، وصار ذلك علمهم حتى شغلهم ذلك عن العلم النافع، وقد أنكر ذلك السلف⁽³⁾.

وما سكت من سكت من كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلاً ولا عجزاً ولكن سكتوا عن علم وخشية لله، وما تكلم من تكلم وتوسّع من توسّع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن حياً للكلام وقلة ورع، كما قال الحسن وقد سمع قوما يتجادلون: هؤلاء قوم ملأوا العبادة وخفّ عليهم القول وقلّ ورعهم فتكلموا.

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك وهذا جهل محض⁽⁴⁾.

ومن المراء ما يجري في المنتديات من المطارحات والمناقشات للتغلب على الخصم وإظهار الحجة من غير قصد الحق وبيانه، ومن ضلّ في زماننا عرفوا بكثرة المراء والجدال على هذا الوجه.

(1) طبقات السبكي (62/4).

(2) الإبانة (531/2).

(3) فضل علم السلف على الخلف، ص (20).

(4) فضل علم السلف على الخلف، ص (23-24).

رابع عشر الغرور والإعجاب بالنفس والاعتداد بالذات

لما حاز هؤلاء الضالون شيئاً من العلوم، وأدركوا قدرًا من الفهوم، اغتروا بما عندهم من العلم، فتجروؤوا على الخوض في المغيبات، ولم يقفوا عند حدود ما أنزل الله على رسوله فضلوا.

وقد حكى الله تعالى عن أسلافهم من الضلال ما يبين هذا ويوضحه، قال تعالى: **عَسَىٰ أَكْثَرُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ حُدُودَ اللَّهِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْبَاطِلُ حِجَابًا مُّبِينًا** [غافر: 83]. قال ابن سعدي: (حج) من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين للهدى من الضلال، والحق من الباطل **عَسَىٰ أَكْثَرُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ حُدُودَ اللَّهِ** ومن المعلوم أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقا، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي ردت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة لها والمناقضة فالله المستعان).

والعجب من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: **ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه..** **I. الحديث (1).**

قال بلال بن سعد (ت: 110هـ): (إذا رأيت الرجل لجوجاً مमारياً

(1) قال المنذري: (رواه البزار والبيهقي وغيرهما، وهو مروى عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم منها مقال، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى). الترغيب والترهيب (1/162).

يعجب برأيه فقد تمت خسارته(1).

وقال حجاج بن أرطاة العلامة مفتي الكوفة وكان فيه تيه وكبر (ت:145هـ): (أهلكني حب الشرف)(2).

وقال إبراهيم الخواص (ت:284هـ): (ما كانت زندقة ولا كفر ولا بدعة ولا جرأة في الدين، إلا من قبل الكلام والجدال والمراء والعجب..)(3).

وقيل لأحدهم: ما البلاء الذي لا يرحم عليه صاحبه؟ قال: العجب(4).
وحذر النبي @ من زمان يعجب فيه كل صاحب رأي برأيه فقال:
M إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام(5).

والإعجاب بالنفس يظهر المعاييب ويغطي المحاسن ويبعث على مقت الخلق وتجافيهم، ولهذا قالوا: (العجب يهدم المحاسن)(6). وهو علامة على الجهل وضعف العقل، قال أبو الدرداء: (علامة الجهل ثلاثة: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه)(7). وقال غيره: (إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله)(8).

والإعجاب بالنفس والاعتداد بالرأي تجده واضحاً عند كثير ممن انحرف وحاد عن الجادة.

ففي برنامج بثته قناة العربية في شهر رمضان من عام (1431هـ) بعنوان: (وجوه إسلامية) استضافت فيه وجهاً إسلامياً ظهر إعجابه بنفسه وغروره بها بمدحه وإطرائه لنفسه ومما قاله أنه في بداية الطلب درس على شيخ اليمنى تنبأ بنجابته فقال: إن هذا الشاب سيكون له شأن في المستقبل!!

وفي شهر شعبان من سنة (1432هـ) استضافت القناة الثقافية شخصاً تحدث عن جهوده في مواجهة الرأي الواحد السائد في المملكة، وذلك أنه

(1) الإبانة (511/2).

(2) سير أعلام النبلاء (69/7).

(3) أحاديث في ذم الكلام ، أبو الفضل المقرئ (400/4).

(4) جامع بيان العلم وفضله (567/1).

(5) أخرجه أبو داود (4341)، والترمذي (3058).

(6) جامع بيان العلم وفضله (570/1).

(7) جامع بيان العلم وفضله (570/1).

(8) جامع بيان العلم وفضله (571/1).

كان يقرأ في صلاته بغير قراءة حفص عن عاصم فلما استنكر الناس، طلب منه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز الكف عن القراءة بذلك، لكنه رفض هذا ليواجه مشكلة الرأي الواحد!!

وفي مقابلة معه في صحيفة (الحياة) ذكر أنه جمع بين جمال الصوت وحسن التجويد، وأن أحد أئمة الحرم عليه ملاحظات كثيرة في التجويد. والآخر يمكن أن يكون أفضل مما هو عليه الآن بكثير. ولذا عليهما تطوير نفسيهما من حيث التلاوة والوقف والابتداء، وذكر أيضا أن الحرم يضم خامات صوتية مميزة، لكن قراء لا، لأنك إذا جئت للفن التجويدي لا يوجد تجويد، ومخارج الحروف فيها الكثير من الأخطاء، وأشار لو يُحَضَّر لأئمة الحرم شخصيات من كبار القراء في العالم للرفع من مستوى أدائهم!!!.

وهذا الكلام مع خروجه عن دائرة المروءة فيه اعتداد بالنفس وثناء عليها مع الحط من شأن الآخرين.

ومما لا حظته أن أحدهم يلقي دروساً في التفسير ودروساً في الفقه في قناة إقرأ وغيرها وهو متخصص في اللغة العربية، وكثيراً ما يستخدم عبارات: أرجح كذا، أميل إلي كذا، يظهر لي كذا... في الموازنة بين أقوال المفسرين والفقهاء. وهذه جراءة لا تتبغي.

وانظر إلى كتابات حسن المالكي ونواف القديمي ومحمد المحمود ومنصور الهجلة وياسر العمرو ومنصور النقيدان وعبدالله بن بجاد وغيرهم من المتعلمين تجد سمة الإعجاب والغرور والاعتداد بالنفس واضحة في كتاباتهم.

وهؤلاء المعجبون بأنفسهم المغرورون بذواتهم يأتئهم الأمر على خلاف ما يؤملون، فيحال بينهم وبين ما يشتهون: من الرغبة في التصدر والتقدم والذكر. قال كعب: (إنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زادك الله به إلا سفالاً ونقصاً)⁽¹⁾.

وما كان التعالم والتحللق جديداً، بل ضاق به الأئمة، واستاء منه الأوائل، قال الخطيب البغدادي (ت:463هـ): (رأيت خلقاً من أهل هذا الزمان ينتسبون إلى الحديث، ويعدون أنفسهم من أهله، المتخصصين بسماعه ونقله، وهم أبعد الناس مما يدعون، وأقلهم معرفة بما إليه ينتسبون،... وهم مع قلة كتبهم له وعدم معرفتهم به، أعظم الناس كبراً،

(1) جامع بيان العلم وفضله (568/1).

وأشد الخلق تبيها وعُجبا، لا يراعون لشيخ حرمة، ولا يوجبون لطالب نمة..(1).

وهؤلاء انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير أو هموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله، لأنهم ما رأوا شيخاً يقتدى به في العلم، فصاروا همجاً رعاعاً، غاية المدرّس منهم أن يحصل كتباً مثمناً يخزنها وينظر فيها يوماً، فيصح ما يورده ولا يقره(2).

ودخل الشيطان على هؤلاء المعجبين بأنفسهم من باب التسخط على القضاء والقدر، فبعضهم ذكي أو منطلق في لسانه أو قلمه ولديه قدرة ومكنة في علوم ومعارف فيرى بليداً أو غيبياً أو أحمقاً ربما كان من أقرانه فحاز مناصب وبلغ مراتب وهو لم ينل من ذلك شيئاً فيتسخط فيحرم التوفيق ويصرف عن الهداية لما كان في قلبه من تسخط على قضاء الله وقدره، واعتراض على علمه وحكمته.

ويظهر هذا في آخر الزمان الذي من علاماته تصدر السفلة وتقدم الرعاع، قال @: [لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع](3). اللكع: اللئيم الأحمق.

وعلامة الغرور والإعجاب بالنفس النيل من العلماء ولمز الكبار، وهذا شأن المنحرفين في القديم كما هو شأنهم في الحديث. ففي القديم كانوا يسمون أهل السنة حشويةً ظاهريةً مشبهة(4)، وفي الحديث يسمونهم جامدين حرفيين نصيين تقليديين.

قال يحيى بن معين (ت:233هـ): (إذا رأيت الرجل يتكلم في حماد بن سلمة وعكرمة مولى ابن عباس فاتهمه على الإسلام)(5).

وقال الإمام أحمد (ت:241هـ): (إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، فإنه كان شديداً على المبتدعة)(6).

وقال الصابوني (ت:455هـ): (وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلامتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي صلى الله

(1) الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع (75/1).

(2) السير (153/7).

(3) أخرجه الترمذي (2209)، وأحمد (23303).

(4) عن هذه المصطلحات، ينظر: منهاج السنة (520/2).

(5) شرح اعتقاد أهل السنة (514/3).

(6) السير (450/7).

عليه وسلم واحتقارهم لهم واستخفافهم بهم..(1).

فالذين يعيبون أهل الحديث ويعدّلون عن مذهبهم جهلة زنادقة منافقون بلا ريب، ولهذا لما بلغ الإمام أحمد عن (ابن أبي قتيلة) أنه ذكّر عنده أهل الحديث بمكة، فقال: قوم سوء. فقام الإمام أحمد وهو ينفض ثوبه، ويقول: زنديق، زنديق، زنديق. ودخل بيته، فإنه عرف مغزاه.

وعيب المنافقين للعلماء بما جاء به الرسول قديم، من زمن المنافقين الذين كانوا على عهد النبي @ (2).

فهكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق بچپپ بچپپ [التوبة:32]، ويثبّطون الناس عن اتباع أهل الشريعة، ويذمّونهم، ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكبون على الدنيا، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا، وذم المكبين عليها(3).

والأسوأ في حال هؤلاء المتعلمين أن المنافقين اتخذوهم أبواقاً للنيل من علماء السنة وتحقيرهم.

فكتب أحدهم مقالاً بعنوان: (سنصدع بالحق) قرّر فيه أن علماءنا الكبار يقفون أمام الإصلاح الديني بتحريم الاختلاط، والقول بسد الذرائع...!!(4).

ولما أصدر الشيخ (عبدالرحمن البراك) فتوى بشأن الاختلاط، ذكر (منصور الهجلة) في إحدى الصحف أن الشيخ غلط غلطة كبيرة، وأبعد النجعة، ولذا لم يعتد به علماء عصره كفقيه، وإن كان المقربون منه يبالغون في الدفاع عنه لشهرته بالغيرة وتدينه وزهده، لكن ليس لعبقريته ودقته في العلوم العقديّة!!

ولما أنكر الشيخ (سعد الشثري) الاختلاط في جامعة (كاوست) كتب (ياسر العمرو) مقالاً في صحيفة عكاظ في لمز الشيخ والحط من شأنه واصفاً إياه بقصور النظر والمشاعبة!!(5).

وشارك (محمد الجدلاني) في برنامج: (ياهلا) على قناة: (روتانا خليجية) في برنامج مشبوه وقناة منحرفة ليتنقص أحد علماء أهل السنة

(1) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(117).

(2) مجموع الفتاوى (4/96).

(3) الاعتصام (1/210-208).

(4) منشور على موقع الإسلام اليوم وغيره من المواقع والصحف الإلكترونية.

(5) مقال بعنوان: (سعد الشثري بين التشمير والأشتمال). صحيفة عكاظ، العدد (3028)، التاريخ (12/10/1430هـ-1/10/2009م).

(صالح اللحيدان) إثر إيضاحه بشأن تعيين المرأة في مجلس الشورى فيتهم نيته ويستعدي الولاية عليه(1).

وسودّ أحدهم كتاباً في ثلاثمائة صفحة جمع فيه فتاوى أهل العلم: سخريّة واستهزاءً وعيباً وتنقصاً.

ولم يقف أهل الأهواء عند حد الحط على العلماء وتنقصهم، بل وصلوا إلى مقام الصحابة رضي الله عنهم، فقد كتب السبّاب (محمد المحمود) مقالاً في صحيفة الرياض بعنوان: (الدراما التاريخية.. التاريخ مزيفاً) تعرّض فيه للصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ووصفه بأنه أناني، وطاغية، ومستبد، ومجرم كبير... (2).

وهذا السبّاب تعرض لشيخ الإسلام ابن تيمية ~ بالذم والتنقص فكان مما قاله في مقال له بعنوان: (التخلف والتطرف... حقيقة العلاقة وبؤس الأتباع): (إن مرجع التقليديين الكبير، الذي يمتحون منه علوم الجهل أو الجهل المحسوب علماً، ذلك المرجع الرمز الذي عاش أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن، والذي لم تكن قدراته تتيح له أكثر من (تعقيل الجهل)، أي تقديم الجهل ورؤى التخلف بوصفها علماً، بل بوصفها وحدها العلم الصحيح، يمكن عده نموذجاً للعلاقة العضوية بين التخلف والتطرف، هم ينفون عنه كلتا الصفتين، لكنك وبتأمل تراثه وتأمل ما نتج عن هذا التراث من وقائع فكرية ووقائع عينية، تدرك أنه كان ولا يزال أكبر مصدر للتخلف والتعصب والتطرف بلا منازع... (3).

وهذا الكلام لا يصدر من نفس سويّة، بل نفس معقدة مريضة ملئت بالحقد والغیظ على علماء السلف ومنهجهم نعوذ بالله من تلك الحال. ومسكين آخر يدعى: (رائد السمهوري) جمع بين الجهل والغرور كتب كتاباً في خمسمائة صفحة في نقد الخطاب السلفي. وكلما كان العالم أعظم تأثيراً وأشدّ على المبتدعة زاد حنقهم عليه وسلقوه بالسنة حداد.

فتعرض المبتدع الخبيث: حسن المالكي لشيخ الإسلام ابن تيمية في مداخلة له على قناة (الكوثر) الرافضية ووصفه بالكذاب وأنه لا يكاد

(1) تجده على موقع (البوتوب).

(2) صحيفة الرياض، العدد (15760)، التاريخ (18/9/1432هـ-18/8/2011م).

(3) صحيفة الرياض، العدد (1533)، التاريخ (5/7/1431هـ-17/7/2010م).

يصدق في خمسة أسطر يكتبها⁽¹⁾.
 وكتب كتابه: (داعية وليس نبيا) يحط فيه من شأن شيخ الإسلام
 محمد بن عبد الوهاب.
 وهذا الخبيث عنده ما عند الرافضة من الحقد والكذب، والتضليل
 والتلبيس.

ولا يعجب المرء من جهالات هذا الحاقد وتضليلاته.. فإن شأنه شأن
 الرافضة ممن عاصروا الشيخ أو جاؤوا بعده ممن شرقوا بدعوة التوحيد
 وغازطهم ظهورها. ولكن العجب ممن انتسب للسنة فتلقف تلك الدعايات
 الحاقدة وأخذ يرددها من غير حجة ولا برهان.

ومن العجيب أن المنحرفين اجتمعوا على التعرض لشيخ الإسلام
 محمد بن عبد الوهاب ودعوته التجديدية خاصة في السنوات الأخيرة هذه
 في اجتماع مريب واتفاق مشبوه!!!

ومن صور تشويه الحق والتنفير عنه بعث مقالة قديمة واجه بها
 المبتدعة الدعوة التجديدية التي قامت في نجد، إذ رموا أهلها بالأجلاف
 والأعراب وعدوهم أهل دين جديد خرجوا به عن إجماع الأمة.
 فتمالاً الرافضة والصوفية والمنافقون على إثارة تلك المقالة عبر
 منتديات ومقابلات، وسجلات ومطارات.

فظهر ما يسمى بالإسلام النجدي يعنون به معتقد أهل السنة
 والجماعة في باب التوحيد والمعتقد في مغالطة للتاريخ والواقع إذ معتقد
 أهل السنة والجماعة ممتد إلى كل الأمصار والأقطار في كل الأزمان
 والأعصار، ولم يكن المعتقد الصحيح مختصاً ببلد دون بلد.

ثم أحقوه بمسائل السلوك والعبادة، فقالوا: تغطية الوجه بدعة نجدية،
 وجهلوا أو تجاهلوا النصوص من الكتاب والسنة في ذلك واتفاق العلماء
 على ذلك خاصة في الأزمان المتأخرة⁽²⁾.

(1) على موقع اليوتيوب بعنوان: (اتصال الشيخ حسن المالكي على السيد كمال
 الحيدري).

(2) ينظر:

- رسالة الحجاب، محمد بن عثيمين، ص(3).
 - عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم، (19/3).
 - الاستيعاب فيما قيل في الحجاب، فريح البهلال، ص(44).
 - أسماء القائلين بوجوب ستر الوجه من غير النجديين، سليمان الخراشي،
 ص(3).

ثم قالوا: تحريم الاختلاط بدعة نجدية والأمر ليس كذلك بل هو اتفاق من جميع العلماء في جميع الأعصار والله الحمد⁽¹⁾.
فبانة سواتهم وانكشفت عورتهم.. جهل مطبق، وهوى غالب، وفتنة أعمتهم حتى أصبحوا يتكلمون بما يجهلون.
وكشف ترويح أهل البدعة لتلك المقالة ما تضره قلوبهم: رداً للحق، وطلباً للزعامة، ورغبة في الرياسة، وحسداً لأهل العلم وحملته.
وهنا لا بد من القول أن السلفية وأهل العلم الحاملين لها تعرضوا لمؤامرة قدرة تورط فيها الظلاميون والمنافقون بالوكالة عن الرفضة والصوفية وهؤلاء جميعاً مستفيدون من إسقاط أهل العلم، سيؤكد لك هذه النتيجة أمران:

الأمر الأول: الحملات المركزة - التي تعبر عن توجه أو تنظيم - قام بها الظلاميون والمنافقون ضد أهل العلم في الكتب والصحف والمطارحات تلميحاً أو تصريحاً.

الثاني: صور التحالف والتماثل بين الظلاميين والمنافقين والرفضة والصوفية التي تراها واضحة في: الزيارات المتبادلة، والبيانات المشتركة، ومداهنة كل طرف للآخر.

وهدف هؤلاء الوصول إلى السلطة!! وطريقها: إسقاط السلفية وأهل العلم حتى تكون من غير أصل وعارية عن الغطاء الشرعي، وكشفت عن هذا بدلائله في كتابي: (حركة التغريب في السعودية) و (حركة التشيع في الخليج العربي).

وتحالف الظلاميين والمنافقين والرفضة ضد السلفية وأهلها يدركه كل متابع للواقع، فقد طرح مقدم برنامج (عيشو معنا) على: محمد سعيد طيب تساؤلاً عن تجمع التيار الليبرالي واليساري والإسلامي المستنير ضد الخصم: (التيار السلفي). فحار محمد طيب وراوغ في الإجابة!!⁽²⁾

(1) ينظر:

- تحريم الاختلاط والرد على من أباحه، عبدالعزيز البداح، ص(5).

- الاختلاط بين الجنسين في الميزان، خالد السبت، ص(14).

(2) برنامج (عيشو معنا) على قناة (إل بي سي) يوم الخميس الموافق (1430/5/18هـ).

خامس عشر مجالسة أهل البدع والتلقي عنهم

لقد كان السلف يحذرون من الاختلاف إلى أهل البدع ومجالستهم فضلاً عن التلقي والأخذ عنهم.

قال الصابوني (ت: 449هـ) في بيان معتقد أهل السنة: (ويتجنبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم..)⁽¹⁾.

وذلك أن البدعة هي المرتبة الثانية في الشر بعد الشرك بالله، وهي أحب إلى الشيطان من الفسوق والمعاصي، لأن ضررها في نفس الدين، وهو ضرر متعدد، وهي ذنب لا يتاب منه، وهي مخالفة لدعوة الرسل، ودعاء إلى خلاف ما جاؤوا به، وهي باب الكفر والشرك، فإذا نال الشيطان من العبد البدعة وجعله من أهلها بقي أيضاً نائباً وداعياً من دعائه⁽²⁾.

ومخالطة أهل البدع الهلاك كله وهو بمنزلة أكل السم فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء.

وما أكثر هذا الضرب في الناس - لا أكثرهم الله - وهم أهل البدع والضلالة، والصادون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعون إلى خلافها، الذين يصدون عن سبيل الله يبعونها عوجاً، فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً⁽³⁾.

والمبتدعة ليسوا من أهل العلم الذين يتلقى عنهم، بل هم شر وبلاء

(1) عقيدة السلف أصحاب الحديث (113-114).

(2) بدائع الفوائد (799/2).

(3) بدائع الفوائد (823/2).

يتجافى الموفق عنهم. قال ابن عبد البر (ت:463هـ): (أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف ولا يعدون الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم)⁽¹⁾.

فأهل السنة والجماعة هم أهل العلم الشرعي، ومن سواهم من أهل البدع فأهل الجهل، ولو نسب إلى العلم فهي نسبة صورية لا حقيقية⁽²⁾.
والعلم الحقيقي هو علم الوحيين وما تفرع عنهما، وما عداهما فلا أجر في تحصيله ولا نفع من ورائه، قال الأوزاعي (ت:157هـ): (العلم ما جاء به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فما كان غير ذلك فليس بعلم)⁽³⁾.

والتلقي عن أهل البدع من علامات الساعة وأشراتها، قال @: **M** من أشرط الساعة أن يلتبس العلم عند الأصاغر⁽⁴⁾. قال ابن المبارك (ت:181هـ): الأصاغر: أهل البدع⁽⁵⁾.

وكان السلف يقولون: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها.
ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الخوارج المبتدعين مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، ونهى عن الخروج على أئمة الظلم وأمر بالصبر عليهم⁽⁶⁾.

قال ميمون بن مهران (ت:117هـ): (لا تصغين بسمعك إلى هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه)⁽⁷⁾.
وقال يحيى بن أبي كثير (ت:129): (إذا رأيت المبتدع في طريق فخذ في غيره)⁽⁸⁾.
وكان الحافظ عكرمة بن عمار (ت:159هـ) يقول في مجلسه:

(1) جامع بيان العلم وفضله (942/2).

(2) فتح الباري، ابن حجر (237/17).

(3) السير (120/7).

(4) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

المجمع (135/1).

(5) ذم الكلام وأهله، الهروي (76/5).

(6) درء تعارض العقل والنقل (180/7).

(7) سير أعلام النبلاء (5،77).

(8) الإبانة (474/2).

(أحرّج على رجل يرى القدر لإقام فخر عني، فإني لا أحدثه)⁽¹⁾.
وقال سفيان الثوري (ت:161هـ): (من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إلى نفسه)⁽²⁾.
وقال الإمام مالك بن أنس (ت:179هـ): (لا يؤخذ العلم عن صاحب بدعة يدعو إلى هواه)⁽³⁾.
وقال عبدالله بن المبارك (ت: 181هـ): (إياك أن تجلس مع صاحب بدعة)⁽⁴⁾.
وعن عبدالرحمن بن مهدي (ت:198هـ): (أنه كان يكره الجلوس إلى ذي هوى أو رأي)⁽⁵⁾.
وقال الإمام أحمد (ت:241هـ): (إياكم أن تكتبوا عن أحد من أصحاب الأهواء قليلاً كان أو كثيراً عليكم بأصحاب الآثار والسنن)⁽⁶⁾.
وما انتشرت البدع وفشت الأهواء في الأمة إلا بعد أن أخذ أقوام عن المنحرفين والمبتدعة.
فخالط قوم من المعتزلة المأمون فحسنوا له القول بخلق القرآن فقوي عزمه وامتحن الناس⁽⁷⁾.
وكان ابن الراوندي (ت:298هـ) في أول أمره حسن السيرة، ثم لازم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب قال: (إنما أريد أن أعرف أقوالهم ثم آل به الأمر إلى الكفر والإلحاد)⁽⁸⁾.
وكان الحنابلة يnehون أبا الوفاء بن عقيل شيخ الحنابلة (ت:513هـ) عن مجالسة المعتزلة، ويأبى حتى وقع في حبالهم، وتجسّر على تأويل النصوص⁽⁹⁾.
قال الحافظ بن رجب (ت:795هـ): (إن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل ترده إلى ابن الوليد وابن التبان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة وتأول لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات

(1) سير أعلام النبلاء (7/138).

(2) الإبانة، ابن بطة (2/461).

(3) سير أعلام النبلاء (8/67).

(4) الإبانة (2/463).

(5) سير أعلام النبلاء (9/207).

(6) سير أعلام النبلاء (11/231).

(7) السير (11/237).

(8) السير (14/59).

(9) السير (19/447).

رحمه الله(1).

قال ابن كثير (ت:774هـ): (لم يكن يتردد عليه - يعني ابن عقيل على أبي الوليد - إلا ليحيط علماً بمذهبه، ولكن سرقة الهوى، وصارت فيه نزعة منه..)(2).

وكان ابن تومرت لقي بالمشرق أئمة الأشعرية وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم وذهب إلي رأيهم في التأويل، وبعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه، بصّر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد(3).

وتحوّل أبو بكر عمر بن روح بن علي النهرواني (ت: 404هـ) من مذهب السلف إلى الاعتزال لما وقع في يده مصنف في الكلام لبعض المعتزلة فنظر فيه واستصوبه وانتقل عن اعتقاده إلى الاعتزال(4).

وأسلم ابن مرزیه أبو الحسن الديلمي الفارسي (ت: 428هـ) على يد الشريف الرضي الرافضي فكان رافضياً. قال ابن برهان: (انتقلت بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية، كنت مجوسياً فصرت تسب الصحابة في شعرك)(5).

ونظر أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) في كتاب أبي طالب المكي وكلام المتصوفة القدماء فاجتذبه ذلك(6).

وقدم الحافظ أبوذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي المالكي (ت: 400هـ) بغداد فتكرر إلى أبي بكر بن الطيب الباقلائي الأشعري (ت: 403هـ) وتمذهب بمذهبه(7)، وبثه بمكة وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس وكان علماء المغرب قبل ذلك لا يعرفون علم الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية(8).

واستتاب أهل السنة في بغداد أبا الوفا بن عقيل لمخالطته المبتدعة فكتب كتاباً يعلن فيه توبته من ذلك جاء فيه: (إني أبرأ إلى الله من مذاهب

(1) ذيل الطبقات (144/1).

(2) البداية والنهاية (19/16).

(3) مقدمة ابن خلدون، ص (156).

(4) الأنساب، للسمعاني (170/1).

(5) السير (472/17).

(6) المنتظم، لابن الجوزي (126/17).

(7) نفح الطيب (70/2).

(8) درء التعارض (271/1). السير (557/17).

المبتدعة والاعتزال وغيره، ومن صحبة أربابه وتعظيم أصحابه، والترحم على أسلافهم والتكثر بأخلافهم... وأتوب إلى الله من مخالطة المبتدعة والمعتزلة وغيرهم، ومكاثرتهم، والترحم عليهم، والتعظيم لهم، فإن ذلك كله حرام ولا يحل لمسلم فعله..(1).

وكان أبو الحسن علي بن محمد الصليحي (ت: 473هـ) القائم باليمن، سنياً ووالده سني عمل قاضياً في اليمن، وكان الداعي الباطني: عامر بن عبدالله الرواحي يلاطفه ويركب إليه، ولم يزل كذلك حتى استمال قلبه، وأطلعه على كتب قديمة، ثم مات عامر، وأوصى له بكتبه وعلومه، ورسخ في الذهن ما رسخ من كلامه، فلم يزل مشتغلاً بتلك العلوم الضلالية الأوهامية حتى صار فقيهاً في مذهب الباطنية الإسماعيلية، وأخذ يدعو للمستنصر العبيدي صاحب مصر في الخفية(2). واشتغل نصير الدين الطوسي (ت: 672هـ) على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي المنتسب، فنزع فيه عروق كثيرة منه، حتى فسد اعتقاده(3).

وكان عبدالله البعلبكي (ت: 688هـ) مستقيم الحال في أول أمره، ثم سافر إلى حصون الإسماعيلية واجتمع بجماعة من أكابرهم، فمال إلى مذهبهم، وأصبح يتكلم بكفريات(4).

وقرأ الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن أبي القاسم الهمداني (ت: 721هـ) على أبي صالح الحلبي شيخ الشيعة فدخل في التشيع وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصار لليهود وأهل الأديان الفاسدة(5).

وإذا كان هذا حال السلف في النهي عن الأخذ عن أهل البدع والتلقي عنهم فانظر إلى مقدار المخالفة عند النائشة في أزمنتنا المتأخرة إذ أصبحوا يختلفون إلى أهل البدع ويأخذون عنهم وبعضهم أصبح ينشئ الأسفار لأجل ذلك.

وبعض من زاغ في أزمنتنا المتأخرة إنما زاغ لما أخذ عن أهل البدع وتلقى عنهم فكانوا سبباً في هلاكه.

قال ابن بطة (ت: 387هـ): (اعلموا إخواني أني فكرت في السبب

(1) المنتظم، 143/16.

(2) مرآة الجنان (80/3).

(3) البداية والنهاية (515/17).

(4) تاريخ الإسلام، حوادث وفيات (681-690). ص (329-330).

(5) البداية والنهاية (211-212/18).

الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة، واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقيب وكثرة السؤال عما لا يعني ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته(1).

فدرس أحدهم على بعض الأشاعرة من الشناقطة المقيمين في المدينة النبوية فالأمر به إلى أن تمشعر وأظهر العداوة للدعوة السلفية.

والعجب أن تأثر به عدد من الأغرار في التمشعر والإعراض عن منهج السلف، وإن المرء ليتساءل: هل هؤلاء يفهمون ما يقرؤون أم أن الدافع حب المخالفة وداعي الشهوة الخفية؟! إذ المذهب الأشعري مضطرب متناقض في بعض أبواب الاعتقاد، ومناقض للعقل في مسائل أخرى مع غموض وتعقيد في غالب المسائل. أفيستبدل هذا بمنهج السلف في وضوحه وسهولته وموافقته للعقل والفطرة؟! نعوذ بالله من عمى البصيرة(2).

وتلقى آخر عن (عبد الفتاح أبو غدة) فصار ينتصر لرؤوس المبتدعة ويقيم بدعة المولد ويدعو إليها.

ودرس داعية الغناء والموسيقى على (عبدالله بن بيه) كما ذكره عن نفسه في كتابه: (مذكرات شاب)(3) و(محمد الدو) كما في ذكره في كتابه: (النشيد الإسلامي)(4).

وتلقى (سلمان العودة) عن يوسف القرضاوي، وشارك في الملتقى الأول لتلاميذ القرضاوي المنعقد في الدوحة في سنة (1431هـ).

وزرع (خالص جلبي)(5) في القصيم ثلاثين عاماً فخالطه بعض الأغرار فتأثروا وانحرفوا عن الجادة.

ولا يزال جملة من المبتدعة يجهرون ببدعتهم في الصحف أو في

(1) الإبانة (1/390).

(2) أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع من كتبه إلى وقوع أهل الكلام في التناقض ومخالفة العقل الصريح. ينظر: درء التعارض (1/152-153).

(3) ص(112).

(4) ص(11).

(5) ينظر: انحرافات خالص جلبي شيخ العصرانيين في القصيم، ضمن (نظرات شرعية في فكر منحرف)، للخراسي.

الفضائيات أو مواقع الإنترنت وقد أُعطي بعضهم قوة في علوم اللغة أو المنطق أو الأصول فاغتر بهم بعض الطلبة فأصبحوا يجالسونهم ويخالطونهم فتأثروا بهم.

والأخطر من هذا أن بعضهم يُدرّس في الجامعات فيمكنه نشر بدعته بطريق أقوى وتأثير أكبر بين الطلبة والأساتذة.

فقد درّس الشيخ (عبدالفتاح أبو غدة) وهو صوفي خلفي⁽¹⁾ ما يزيد على عشرين عاماً في الجامعة، وكان له أثره وتأثيره: دعوة للبدعة، وتثبيتاً لها ولأهلها بأساليب خفية وملتوية.

ولا زال (عبدالله بن بيه) يدرّس في الجامعة وهو صوفي أشعري قرر بعض أشعريته وصوفيته في كتابه: (مشاهد من المقاصد)⁽²⁾.

وينسحب الوصف على الدكتور (محمد ملا خاطر)، و(محمد حسن الدو)، و(محمد عوامة)⁽³⁾، و(محمد الصابوني)⁽⁴⁾ وغيرهم.

وهناك عشرات الشواهد لمبتدعة جاؤوا إلى هذه البلاد ونعموا بخيراتها ودرّسوا في جامعتها ثم انقلبوا عليها فأصبحوا حرباً عليها: دعوة ودولة، ولن أطيل عليك بذكر الشواهد ولكني سأكتفي بمثال واحد، يدل على غيره.

فقد درّس: أحمد عبدالرحيم السايح في جامعة أم القرى لسنوات، ثم عاد لبلده ليؤلف كتاباً في مهاجمة هذه البلاد ومنهجها⁽⁵⁾. ويشارك بشكل كبير في برامج قناة العالم الإيرانية تعرضاً لهذه البلاد وإساءة إليها⁽⁶⁾.

(1) كشف الشيخ بكر أبو زيد مذهب عبدالفتاح أبو غدة في ثلاثة من كتبه: -براءة أهل السنة، ص(34).

تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء، ص(115).
-عقيدة السلف، ص(11).

(2) مشاهد من المقاصد، ص(122-113).

(3) انظر: تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال، للعلامة بكر أبو زيد، ص(178).

(4) انظر: تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال، للعلامة بكر أبو زيد، ص(176).

(5) ينظر مثلاً:

- الرد على فكر التكفير عند الوهابية، أحمد السايح، دار الأشراف الصوفية، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.

- ابن تيمية الذي افتري عليه الوهابيون، أحمد السايح، دار الأشراف، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.

(6) ينظر مثلاً: برنامج تحت الرماد، السعودية وفتاوى التكفير، قناة العالم، أربع حلقات.

والثالثة: أقام مؤتمراً في القاهرة بعنوان: (خطر الوهابية على الإسلام والعالم) انتهى فيه إلى أنها أخطر على العالم الإسلامي من الكيان الصهيوني!!⁽¹⁾ والمذكور له علاقة مشبوهة بإيران: دفاعاً عن التشيع ومساندةً لمشروعه⁽²⁾.

وإزاء هذا الغزو البدعي يعجب المرء كيف تفتح الجامعات والقنوات والصحف لهؤلاء المبتدعة!! في حين أنه لا يمكن لأي سلفي أن يخترق حصون المبتدعة وقلاعهم!!⁽³⁾

وقد يعترض معترض بأن بيان أثر المنحرفين والمبتدعة فيه مبالغة ظاهرة إذ إنهم خاملون ليس لهم نشاط... وهذا الكلام - على أحسن الأحوال - ليس صادراً عن رصد واقعي!! وإلا فإن البحث يثبت أن من نوافذ الانحراف في هذه السنوات الأخيرة: النشاط الوافد في زرع البدعة وتثبيتها.

فقد كان لعبدالفتاح أبو غدة ومحمد الصابوني وملا خاطر وخالص جلبي وغيرهم تأثير كبير ونشاط قوي على حذر وهدوء مع عدم ظهور وسائل الاتصال والإعلام الحديثة.

وإذا كان تأثير المبتدعة في زمن ظهور السنة وتوافر العلماء في زمنٍ مضى قوياً فكيف بزماننا المتأخر؟

ويقوم عبدالله بن بيه ومحمد الددو وغيرهما: بنشاط قوي من خلال منافذ عدة وقنوات متعددة في زرع البدعة وتثبيتها.

وقد ثبت لي من خلال التتبع والاستقراء أن المبتدعة والمنحرفين من هؤلاء كان لهم أثر وتأثير في زرع المناهج الدعوية الوافدة كمنهج الإخوان المسلمين وزرع المذاهب البدعية كالمذهب الأشعري والصوفي⁽⁴⁾.

فإن قُلْتُ: إن بعض هؤلاء المبتدعة متحفظون لا يظهر منهم شيء إلا نادراً.

قُلْتُ: إن هذه هي جادة أهل البدع في حال ظهور السنة وغلبة أهلها،

(1) ينظر: مؤتمر خطر الوهابية على الإسلام والعالم على شبكة الإنترنت.

(2) ينظر: حوار مع السايح على شبكة اليوتيوب.

(3) مما يستغرب أن دُعي (عبدالله بن بيه) لإقامة محاضرة في كلية الشريعة بالرياض سنة 1432 هـ بعنوان: (فقه الواقع والمتوقع).

(4) لدي دراسة حول هذا الموضوع: تتبعا واستقراءً وتحليلاً.. يسر الله إتمامها وإخراجها.

بعينه(1).

وأذكر هنا أن داعية قدّم برنامجاً على قناة المجد الفضائية في رمضان قبل سنوات عن علماء المسلمين خصّص منها حلقة عن حسن البنا وأخرى عن عبدالفتاح أبو غدة بالغ في مدحهما والثناء عليهما، مع ما عرف عن الأخير من طعون مبطنّة في عقيدة السلف وعلماء السنة وإحياء ذكر رأس الجهمية والبدعة في زماننا (زاهد الكوثري)!!

وعرضت قناة المجد لقاء مطولاً مع الشيخ (الدو) يوم الأحد (1432/12/10هـ)، ومقدم برنامجه على قناة (إقرأ) يعرفه بقوله: سماحة الشيخ العلامة!! كما نقلت إذاعة (نداء الإسلام) في يوم الجمعة (1433/1/14هـ) محاضرة للدو عن الهجرة النبوية في برنامج (محاضرات) وعرفه المقدم بقوله: سماحة الشيخ!!

ومما يدل على وجوب التباعد عن المنحرفين قوله صلى الله عليه وسلم: **M** من سمع منكم بخروج الدجال فليأمنه ما استطاع فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به حتى يتبعه لما يبعث من الشبهات⁽²⁾.

فهذا قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فلا يحملن أحد منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول: أداخله لأنظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال وكلامهم ألصق من الجرب وأحرق للقلوب من اللهب ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباشطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم⁽³⁾.

ومن جالس من أهل السنة أهل البدع كان تأثيره أعظم من أهل البدع لأنه يلبس على الناس ويروج للبدعة ويهون من شأن التوحيد ويكون باباً من أبواب الانحراف العقدي والفكري.

قال عبد الله بن عون (ت: 151هـ): (من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع)⁽⁴⁾.

(1) الاعتصام (201-202/1).

(2) أحمد (19875)، وأبو داود (4319).

(3) الإبانة، ابن بطة (470/2).

(4) الإبانة (473/2).

ويأسف الموحد عندما يرى عدداً من الدعاة يزورون الرافضة والصوفية والمنافقين ويجالسونهم ويتخذونهم أصحاباً وأخداناً، ويدهنونهم تقرباً وتودداً، فبعضهم زار الرافضة في القطيف، وآخرون زاروا الصوفية في جدة.

واتخاذ أهل البدع أصحاباً من صور الانحراف الذي حدّر منه السلف وأبانوا خطورته.

قال بعض السلف: (الرجل وإن كتم رأيه لم يخف ذلك في ابنه ولا صديقه ولا جلسه)⁽¹⁾.

وقال بعضهم أيضاً: (يتكتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة)⁽²⁾.

وقال الأوزاعي (ت:157هـ): (يعرف الرجل في ثلاثة مواطن: بألفته، ويعرف في مجلسه، ويعرف في منطقه)⁽³⁾.

وقدم مبتدع إلى بغداد فذكر إلى الإمام أحمد (ت:241هـ)، فقال: انظروا على من نزل وإلى من يأوي⁽⁴⁾.

وبعض من يدعي الدين إنما يتعبد بما يحسن في العادة ويثني عليه به، وما فيه مقاطعة ومجاهدة وهجر في ذات الله ومراغمة لأعدائه فذاك ليس منه على شيء بل ربما تثبط عنه وقدح في فاعله، وهذا كثير في المنتسبين إلى العبادة والمنتسبين إلى العلم والدين، والشيطان أحرص شيء على ذلك منهم؛ لأنهم يرونه غالباً ديناً وحسن خلق فلا يتاب منه ولا يستغفر، ولأن غيرهم يفتدي بهم، ويسلك سبيلهم فيكونون فتنّة لغيرهم، ولهذا حدّر الشارع من فتنّة من فسد من العلماء والعباد وخافه على أمته⁽⁵⁾.

ومما يذكر في هذا المقام أن (سلمان العودة) أشار إلى العلاقة الحميمة التي تربطه (بجميل الفارسي)⁽⁶⁾ المعروف بدعوته لبدعة المولد ونشره دعوة له في الصحافة المحلية متضمنة التهنئة به وقصيدة في دعاء غير الله تعالى⁽⁷⁾.

(1) الإبانة (479/2).

(2) الإبانة (479/2).

(3) الإبانة (480/2).

(4) الإبانة (480/2).

(5) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، عبداللطيف بن عبدالرحمن (54/3).

(6) مقابلة مع الدكتور سلمان العودة في صحيفة سبق الإلكترونية نشرت بتاريخ (2011/9/3م).

(7) صحيفة عكاظ والوطن، التاريخ (1432/3/12هـ-2011/2/15م).

وشارك مع فيصل الكاف الصوفي (ضيوف شرف) في حفل تخريج طلاب ثانوية حمزة بن عبدالمطلب بجدة.

كما يُذكر مقاله الذي نشره على موقعه في رثاء شيخه: (عبدالفتاح أبو غدة) وثنائه وإطرائه له وانتقاده الموعظين في الخصومة ممن طالبوه بالتوبة عن معتقده وإعلان ذلك، فهل يعني بذلك الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ بكر أبو زيد!!! كما في كتاب: (براءة أهل السنة) وتقريره؟!

وقامت مؤسسة الإسلام اليوم المملوكة (للعودة) بطباعة كتاب: (مشاهد من المقاصد) لابن بيّه الذي يقرر فيه صوفيته وأشعريته!!⁽¹⁾.

واستضافت قناة (دليل) في شهر شعبان سنة (1432هـ) في برنامج لها أحد المبتدعة المعروفين بالدعوة لبدعة المولد النبوي ليتحدث عن سد الذرائع: تقويضاً لهذا الأصل. لينفذ المبتدعة إلى بدعهم والمترخصة إلى رخصهم.

وخصت جزءاً من برنامج (الشاهد) للحديث عن الاحتفال بالمولد النبوي، أخذت فيه رأي الناس، واستضافت (زيد الفضيل) وهو زيدي المذهب للحديث عن ذلك!!

وتحدث أحد الدعاة في قناة المجد في يوم الخميس (1432/1/10هـ) عن فضل يوم عاشوراء ليقول: إنه يوم شكر ويوم صبر، فيوم شكر لأنه اليوم الذي نجى فيه موسى وقومه، ويوم صبر لأن اليوم الذي قتل فيه الحسين، وأخذ يسرد قصة مقتل الحسين رضي الله عنه مصحوباً ببيكائه وخشوعه. وهل هذا إلا موافقة للرافضة - قبهم الله - في نياحهم؟!⁽²⁾

ويلقي هذا الداعية دروساً في السيرة النبوية في اجتماع صوفي في جدة احتفالاً بالمولد النبوي.

ولحق المبتدع: (حسن المالكي) بالرافضة فهو يزورهم ويجتمع بهم

(1) قال عن الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ودعائه: (فلو مُنعت سداً للذريعة لما كان ذلك بعيداً حتى لا يقع العوام الذين يخفى عليهم. أما التكفير فهو أمر فيه صعوبة لقيام هذه الاحتمالات فلا يكفر إلا من اعتقد أن للشخص المستغاث به قدرة مستقلة عن قدرة الله تعالى وإرادة مستقلة عن إرادته). ص(119).

(2) قال شيخ الإسلام: (وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رضي الله عنه يحدث للناس بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء، من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاء المراثي، وما يفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنهم.. وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب، وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرمه الله ورسوله). منهاج السنة (554/4).

ويشارك في قناة الكوثر الرافضية.
ولحق (سعد الفقيه) بالكفار وأقام في لندن ووجد الدعم المادي
والمعنوي من معمر ليبيا ووجد الدعم المعنوي من الاستخبارات البريطانية
وإيران!!⁽¹⁾

وكتب أحدهم رسالة بعث بها إلى الدكتور (غازي القصيبي) نشرتها
صحيفة الجزيرة في تاريخ (1431/7/2هـ)، ملاًها بالمدح والثناء عليه
ومما قال فيه: (لو كان في استطاعة وطن التوحيد والسنة ومحبيك من أهله
أن يُفادوا صحتك بالمال والمتاع بل بالآلاف المؤلفة من السعوديين فضلاً
عن غيرهم - لما تأخرت عن العودة إلينا حتى اليوم،...). وهذا الممدوح من
رؤوس تغريب المرأة، وله مواقف ومقالات لا يمكن أن يعتذر عنه فيها.
ولا بد من التوكيد هنا إلى أن قناة دليل تحمل توجهها يوجب التنبيه
والتحذير ألخصه في الآتي:

- أصبحت القناة نافذة لبعض أهل الأهواء والبدع: ترويجاً لبدعتهم،
وإزالةً للوحشة منهم.

فقد استضافت: محمد السحيمي، وعبدالرحمن الحبيب، وإبراهيم
البليهي، وجمال خاشقي، وابن بيه، والددو، والعرفج وغيرهم.

- أفتى الشيخ الددو في أكثر من برنامج له على القناة بجواز الاحتفال
بالمولد النبوي، وتفصيله للقول فيه كتفصيل الشيخ (علوي المالكي) في
كتابه: (مجموع فتاوى ورسائل)⁽²⁾. فهل تتلمذ على كتبه؟ أم هو توافق؟!
وللدكتور (عصام البشير) مشاركات واسعة في القناة، وله خطبة على
(اليوتيوب) في مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي يرد فيها على القول
ببدعيته!!

كما يحق للمتابع أن يتساءل: ما هدف القناة من تقديم المبتدعة وأهل
الأهواء وتصديرهم والترويج لأقوالهم في مجتمع قام منهجه على خلاف
ذلك؟؟!!

ويلقى الشيخ (الددو) تصديراً وتقديماً ملفتاً على قناة (دليل) على
الرغم من كثرة تخليطاته وتخبيطاته ومما سجلته لدي ما يلي:

(1) ذكر عبدالعزيز الشنبري المنشق عن سعد الفقيه في مقابلة معه على قناة العربية
بتاريخ (1427/2/21هـ) أن سعد الفقيه يجد الدعم المادي والمعنوي من معمر
ليبيا ويجد الدعم المعنوي من الاستخبارات البريطانية وإيران. كما ذكر وزير
الخارجية الليبي (عبدالرحمن شلقم) في مقابلة معه على قناة العربية بعد مقتل
القذافي أن معمر القذافي كان يساند سعد الفقيه وبينهما تعاون وثيق.
(2) ص(181-180).

- خرج الشيخ (الدو) في برنامج بعنوان: (البدعة - فقه العصر) على قناة (إقرأ) وهدف البرنامج: تقويض قواعد أهل السنة في التعامل مع أهل الأهواء والبدع.

وكان الملاحظ على البرنامج ما يلي:

-اجتهد مقدم البرنامج على نحو غريب وحاول قسر الضيف على القول بتقسيم البدعة إلى محمودة ومذمومة!!

- حاكم البرنامج أهل السنة في موقفهم من البدع والمبتدعة، وطرح المقدم أقوال الأئمة (التي وصفها بالغريبة جداً) بحق المبتدعة!!

- حمل الشيخ (الدو) كلام السلف في التحذير من البدعة والمبتدعة على المكفرة منها فحسب!!

- قرّر الشيخ (الدو) أن الأصل في التعامل مع المبتدعة الرفق واللين ولا يلجأ إلى الغلظة إلا إذا رجيت منفعتها.

- أن البدع ليست أشد من المعاصي إلا المكفر منها.

- حكى (الدو) الخلاف في البدع الإضافية، وقرر أنه لا يسع تعظيم النكير فيها!!

- قرّر أن التحذير من المبتدعة خاص بالرواية والجرح والتعديل، وأنه لا يوجد كتاب لأحد من أهل العلم في الرد على فلان أو فلان!!!

- قرّر أن التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم من المسائل الخلافية التي يسع فيها النظر.

والأخطر أنه هوّن كثيراً من البدع تحت دعوى وجود الخلاف فيها!! وهذا هو مقصود البرنامج كما ظهر لي.

وفي برنامج آخر بعنوان: (أهل السنة والجماعة - فقه العصر) على قناة (إقرأ) قرّر ما يلي:

- أن حصول الافتراق في الأمة ليس عيباً ولا مذمة، وأن تعداد البغدادي وابن الجوزي للفرق ليس في محله.

- أن العناية بطباعة حديث الافتراق والتعليق عليه والتشنيع على التفرق خطأ لا ينبغي.

- دعا إلى تعويد طلبة العلم على عدم احتكار الحق (في تعبير صحفي).

- في سياق الكلام عن البدع جاء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع أهل المعاصي صلاةً وترحمًا عليهم في خلطٍ بين حال أهل البدع والمعاصي.

بن حفيظ، نوح القضاة) وابن بيه معهم.

ولهذه المؤسسة جهودها وتأثيرها في نشر التصوف وعقائده، كما أن لها أثراً مشبوهاً في جوانب أخرى تجدها في مقالة الباحث: (أسامة شحادة): (الدور المشبوه لمؤسسة طابة الصوفية) منشورة على شبكة الإنترنت.

والذي يظهر لي أن هناك اتجاهاً داخل المجتمع يسعى إلى تفويض الأصول التي قام عليها المجتمع من خلال الآتي (1):

1- تصدير المبتدعة وتقديمهم وإضفاء الألقاب عليهم ليغتر به الناشئة، وطباعة كتبهم وتوزيعها من جهات محلية، فقد أصدر معهد (مكة المكرمة بجدة) كتباً لكل من: عبدالله بيّه، محمد الددو، يوسف القرضاوي... (2)

كما عمل هذا الاتجاه على نشر اجتهادات وتقرير أولئك، فقام أحدهم بنشر اجتهادات وتقريرات (يوسف القرضاوي) في رسالة مستقلة (3).

وخصصت قناة (فور شباب) برنامجاً كل خميس بعنوان: (مفاهيم للشيخ (الدو)).

وألقى أحدهم دروساً في الحج في مكة المكرمة، كان يقول عقب كل مسألة: اختار ذلك سماحة الإمام العلامة يوسف القرضاوي.

وحتى أكون منصفاً، فليس تقديم المبتدعة خاصاً بقناة (دليل) ومثيلاتها، بل هو اتجاه عام، يدل عليه (أنموذجاً) المشاركة الواسعة لـ(زيد الفضيل) - وهو زيدي المذهب - على القناة الثقافية والعربية وروتانا الخليجية وإذاعة (إف إم) في أكثر من برنامج.

وكتب (أحدهم) مقالاً بعنوان: (مسألة المبتدع وهجره) تساءل فيه عما ورد عن بعض العلماء من وجوب مقاطعة المبتدعة وهجرهم وترك مكالمتهم والسلام عليهم...؟! وأجاب: بأن هذه اجتهادات ليست ملزمة، ولا هي صادرة عن من يجب قبول قوله، وبعضها فيه غلو وإسراف!! (4).

2- التشكيك في المسائل الشرعية التي دلت عليها نصوص الشريعة وسار عليها السلف الصالح وذلك برد قاعدة سد الذرائع وبدعوى الخلاف

(1) أشار إلى هذا الاتجاه (أنور الخضري) في كتابه: (ظاهرة التدين الجديد)، ص(28).

(2) قضايا دعوية معاصرة، علي العمري، ص(127).

(3) الجديد في فقه الجهاد، علي العمري، ص(5).

(4) صحيفة عكاظ، هاني فقيه، العدد (2524)، التاريخ (10/5/1429هـ).

في تلك المسائل، والأمر جاوز المسائل الشرعية إلى قضايا البدع ومسالك المبتدعة ومرّ معك شواهد كثيرة، وسأنقل لك شاهداً آخر حيث يقول أحدهم: (وتحريك الإيمان لا يكون بالهجر والترهيب، والتذرع ببعض أقوال العلماء دون جمهورهم وسد الذرائع على كل شيء، بل بتطبيق السنة الصافية قولاً وعملاً... وندع الناس بعدئذ يجمعون على مجالس الذكر، أو زيارة المدينة، أو ساكنها عليه الصلاة والسلام، أو صلاة القيام، أو الإكثار من الأذكار المشروعة، أو خدمة الأرامل واليتامى والأيتام، أو سماع الرقائق والابتهالات والمدائح النقية)⁽¹⁾.

(1) رؤية تطويرية للصحوة السعودية، علي العمري، ص(25).

سادس عشر ظهور أهل البدع

إذا ظهر أهل البدع وجأهروا بدعوتهم وصاحب ذلك تقريب الحاكم لهم وقربهم منهم انتشر الانحراف في الأمة.

ولما استخلف المأمون (ت:218هـ) على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته، وبزغ فجر الكلام، وعزبت حكمة الأوائل ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين، قد كانت الأمة في عافية منه، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة، وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن، ودعاهم إليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة إلا بالله⁽¹⁾. فكان المأمون بأساً وبلاءً على الإسلام⁽²⁾.

قال الصلاح الصفدي (ت:764هـ): (حدثني من أثق به أن شيخ الإسلام ابن تيمية - روح الله روحه - كان يقول: ما أظن أن الله يغفل عن المأمون، ولا بد أن يقابله على ما اعتمده من هذه الأمة من إدخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها)⁽³⁾.

ولما قامت دولة العبيدية والقرامطة والشيعة ظهرت المقابرية، قال الذهبي (ت:748هـ): أول من دس على المسلمين بدع القبور: العبيدية بمصر والقرامطة والشيعة⁽⁴⁾.

وأعجب المعتصم (ت:227هـ) بأبي جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي الإسكافي المتكلم (ت:240هـ) فأدناه وأجزل له عطاءه، وكان

(1) تذكرة الحفاظ (328/1).
(2) سير أعلام النبلاء (234/10).
(3) لوامع الأنوار (9/1).
(4) السير (16/10).

إذا ناظر، أصغى إليه، وسكت الحاضرون، ثم ينظر المعتصم إليهم، ويقول: من يذهب عن هذا الكلام والبيان! ويقول: يا محمد، اعرض هذا المذهب على الموالي، فمن أبي، فعرفني خبره، لأنكُل به⁽¹⁾.

وأذن في خلافة المستنجد بالله العباسي (ت: 566هـ) لرجل يقال له أبو جعفر بن سعيد بن المشاط (ت: 555هـ) فجلس في الجامع فكان يسأل فيقال له حجّ أببببج كلام الله؟ فيقول: لا. ويقول في سورة القصص هذا كلام موسى وهذا كلام النملة فأفسد عقائد الناس⁽²⁾.

وإذا كان أهل البدع أمراء ووزراء وقضاة.. عظمت فتنتهم وقبح أثرهم وامتد أثرهم في الناس. وهؤلاء هم أئمة الضلال الذي خافهم النبي صلى الله عليه وسلم على أمته فقال: **م أخوف ما أخاف عليكم بعدي الأئمة المضلين**⁽³⁾.

فقد كان الحسن بن ضافي بن بزذن التركي (ت: 568هـ) من كبار الأمراء وتحكم في الدولة العباسية وتجرد للتعصب في المذهب الرافضي فانتشر بسببه الرفض وتأذى أهل السنة به⁽⁴⁾.

ولما كان هبة الله ابن الصاحب الرافضي (ت: 583هـ) أستاذاً لدار الخليفة المستضيئ العباسي وترقى حتى صار يولي ويعزل ماج في أيامه الرفض، وشمخت المبتدعة⁽⁵⁾.

ولما كان الوزير ابن العلقمي الرافضي (ت: 656هـ) وزيراً للخليفة العباسي المستعصم أفشى الرفض في البلاد ونصره⁽⁶⁾.

ولما تملك بنوعيب بمصر في القرن الرابع الهجري لم يكن أحد يكنى بأبي بكر، وكانت الدنيا تغلي بهم رفضاً وجهلاً⁽⁷⁾.

ولما غلا الرفض بالشام في القرن الرابع، وفي مصر والمغرب بالدولة العبيدية، وفي العراق وبعض العجم بالدولة البويهية، اشتد البلاء بأهل السنة دهرًا، وشمخت الغلاة بأنفها، أظهر بعض العلماء التشيع تقية لا سجية، والناس على دين الملك⁽⁸⁾.

(1) سير أعلام النبلاء (551/10).

(2) المنتظم (178/18).

(3) أخرجه أحمد (27485)، وأبو داود (4252)، والترمذي (2229).

(4) المنتظم (201/18). البداية والنهاية (469/16).

(5) تاريخ الإسلام، وفيات (581-590) ص (167).

(6) السير (362/23).

(7) السير (453/17).

(8) السير (507/17).

ولما أظهر أبو الحسن الأشعري (ت:331هـ) مقالة خيبت عقائد الناس وأوجبت الفتن المتصلة وما زال منذ أظهر هذا خائفاً على نفسه لخلافه أهل السنة حتى إنه استجار بدار أبي الحسن التميمي حذراً من القتل، ثم تبع أقوام من السلاطين مذهبه فتعصبوا له وكثر أتباعه حتى تركت الشافعية معتقد الشافعي رضي الله عنه ودانوا بقول الأشعري(1).

ولما أمر الخليفة الواثق (ت:232هـ) بالمحنة في القرآن ورد كتابه إلى القاضي أبي بكر الأصم قاضي مصر، فأخذ الناس بذلك، فلم يبق فقيه ولا مؤذن ولا معلم إلا أخذ بها، فهوى كثير من الناس، ومُلِيت السجون ممن أنكرها، وأمر القاضي أن يكتب على أبواب المساجد: القرآن مخلوق(2).

وأهل الأهواء يحرصون على القرب من الولاة والسلاطين حتى يتمكنوا من نشر بدعتهم.

قال الشاطبي (ت:790هـ): (فالمبتدع إذا لم ينتهض لإجابة دعوته بمجرد الإعذار والإنذار الذي يعظ به، حاول الانتهاض بأولي الأمر، ليكون ذلك أحرى بالإجابة)(3).

ومن طرائقهم: أن يظهر المبتدع الموافقة لهم في مسألة تخالف الشريعة مما يريدونه، وإن كان لا يؤمن بولايتهم أصلاً، ليتمكن من نشر بدعه وآرائه من جهة أخرى.

(1) المنتظم (29/14).

(2) ترتيب المدارك (404/1).

(3) الاعتصام (293/1).

سابع عشر نسخ العلم وذهاب العلماء

العلماء بالله وأمره ومكايده عدوه، وأمراض القلوب وأدويتها، الناصحون لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولخلقه، أعز من الكبريت الأحمر⁽¹⁾. ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع⁽²⁾.

وهؤلاء هم الراسخون في العلم، العلم: الذي يطمئن إليه القلب، وتسكن عنده النفس، ويزكو به العقل، وتستنير به البصيرة، وتقوى به الحجة.. وأهل هذا العلم لا تكاد الأعصار تسمح منهم إلا بالواحد بعد الواحد⁽³⁾.

قال الذهبي (ت: 748هـ): (وأما اليوم: فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، في أناس قليل، ما أقلّ منهم من يعمل بذلك القليل)⁽⁴⁾.

وقال في موضع آخر: (وأما اليوم فقد اتسع الخرق، وقلّ تحصيل العلم من أفواه الرجال، بل ومن الكتب غير المغلوبة، وبعض النقلة للمسائل قد لا يحسن أن يتهجى)⁽⁵⁾.

ولذا لا بد أن يُعرف الفرق بين العالم وبين الواعظ أو الداعية أو القاص أو الأكاديمي فالأول له أن يفني وأن يدرس وأن ينبعث للشأن العام وقد يجب عليه في بعض الأحوال والمواطن.. وأما غيره فليس له أن يرتقي تلك المراتب.

(1) بدائع الفوائد (822/2).

(2) سير أعلام النبلاء (323/13).

(3) مفتاح دار السعادة (410/1).

(4) تذكرة الحفاظ (1031/3).

(5) السير (377/11).

وأحد سبل ذلك تقديم الجهال على العلماء وتولية المناصب الشرعية لمن ليس بأهل، فيقولوا بالرأي⁽¹⁾.

ومن كثرة الجهل وقلة العلم: تقديم الأحداث على غيرهم، كان ذلك التقديم في رتب العلم أو غيره؛ لأن الحدث أبدأً أو في غالب الأمر غير لم يتحنَّك، ولم يرتض في صناعته رياضة تبلغه مبالغ الشيوخ راسخي الأقدام في تلك الصناعة⁽²⁾.

وكما قيل:

شيطان عجيبان هما أبرد من شيخ يتصابى وصبي
يخ يتمشخ

وهؤلاء هم السفلة الرعاع الذي يكون بهم فساد الدنيا والدين، قال التابعي الجليل مكحول (ت: 112هـ): تفقه الرعاع فساد الدنيا، وتفقه السفلة فساد الدين⁽³⁾.

وذهب العلماء الربانيين هلاك للناس، قال سعيد بن جبير (ت: 95هـ): (علامة الساعة وهلاك الناس: ذهاب علمائهم)⁽⁴⁾.

وبعد وفاة مفتي الدنيا الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت: 1420هـ) استنكرنا أشياء كثيرة حتى تمثلنا قول القائل:

فما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت
تعرف

لما توفي رحمه الله تدافع المنتسبون للعلم على الفتيا وأصبحت حقاً مشاعاً لكل أحد فتقحمها من ليس من أهلها⁽⁵⁾.

ولما توفي ظهرت المبتدعة وتجرات على نشر بدعتها، فكتبت عشرات المقالات في صحيفتي المدينة وعكاظ في الدعوة للاحتفال بالمولد النبوي مثلاً⁽⁶⁾.

(1) الاعتصام (432/2).

(2) الاعتصام (469-470/2).

(3) جامع بيان العلم وفضله (154/1).

(4) جامع بيان العلم وفضله (596/1).

(5) ينظر ما سبق من شواهد على فتاوى تعارض النص والإجماع.

(6) ينظر مثلاً:

- مقال بعنوان: (المولد النبوي الشريف)، لجنة آل معينا، صحيفة المدينة، التاريخ (2011/2/18م).

ولما توفي قويت حركة الزندقة وتجرات على السخرية بالشعائر، ومعارضة النصوص، والخط على أهل العلم⁽¹⁾.

-
- =
- مقال بعنوان: (فضل يوم الاثنين والاحتفاء بالمولد)، عبدالله الشريف، صحيفة المدينة، التاريخ (2011/2/14م).
 - مقال بعنوان: (المولد النبوي)، ملوك الشيخ، صحيفة المدينة، التاريخ (2011/2/15م).
 - مقال بعنوان: (محبة الرسول نبع الحب في حياتنا)، نبيلة محجوب، صحيفة المدينة، التاريخ (2010/2/27م).
 - مقال بعنوان: (المولد النبوي وذكرى عطرة)، محمد عبده يماني، صحيفة عكاظ، التاريخ (2010/4/24م).
 - مقال بعنوان: (النبي ورحمته بالعالمين)، محمد عبده يماني، صحيفة عكاظ، التاريخ (2009/3/9م).
 - مقال بعنوان: (قبس من سيرة الرسول)، عبد الله خياط، صحيفة عكاظ، التاريخ (2008/3/7م).
 - مقال بعنوان: (الاجتماع لسماع السيرة أمر محبب)، محمد عبده يماني، صحيفة عكاظ، التاريخ (2007/3/31م)، وعبدالله خياط هذا ليس هو الشيخ عبدالله خياط عضو هيئة كبار العلماء.
- (1) راجع كتابي: (حركة التغريب) ص(712-704) ففيها شواهد كثيرة على ذلك.

كثيراً⁽¹⁾.

وتتبع الرخص والانتقاء من الأقوال ما يوافق الأهواء لا يجوز بالإجماع، قال ابن القيم (ت:751هـ): (لا يجوز للمفتي أن يعمل بما يشاء من الأقوال والوجوه من غير نظر في الترجيح، ولا يعتد به بل يكتفي في العمل بمجرد كون ذلك قولاً قاله إمام، أو وجها ذهب إليه جماعة، فيعمل بما يشاء من الوجوه والأقوال، حيث رأى القول وفق إرادته وغرضه عمل به، فأرادته وغرضه هو المعيار وبها الترجيح وهذا حرام باتفاق الأمة)⁽²⁾.
ومن يسلك سبيل الترخص والانتقاء من الأقوال على سبيل التشهي، فقد اتبع هواه، ولم يجعله وسيلة إلى تقواه، وذلك أبعد له من أن يكون ممثلاً لأمر الشارع، وأقرب إلى أن يكون ممن اتخذ إلهه هواه، ومن هذا أيضاً جعل بعض الناس الاختلاف رحمةً للتوسع في الأقوال وعدم التحجير على رأي واحد... وهذا القول خطأ كله وجهل بما وضعت له الشريعة⁽³⁾.

وفي اتباع رخص المذاهب من المفسدات: الانسلاخ من الدين بترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف، والاستهانة بالدين إذ يصير سيالاً لا ينضبط⁽⁴⁾.

(ولقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل. ومن أمثلة ذلك: رأي قوم اتخذوا الرجال ذريعة لأهوائهم، أو من رغب إليهم في ذلك، فإذا عرفوا غرض بعض هؤلاء، بحثوا عن أقوال العلماء في المسألة المسئول عنها حتى يجدوا القول الموافق للسائل فأفتوا به، زاعمين أن الحجة في ذلك قول من قال: اختلاف العلماء رحمة، ثم ما زال هذا الشر يستطير في الأتباع وأتباعهم، حتى لقد حكى الخطابي عن بعضهم أنه يقول: كل مسألة ثبت لأحد العلماء فيها القول بالجواز - شدّ عن الجماعة أو لا - فالمسألة جائزة)⁽⁵⁾.
والذي يريد الشنوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء ويتعلق بزلاتهم، والذي يؤم الحق في نفسه يتبع المشهور من قول جماعتهم وينقلب

(1) ذم الكلام وأهله (104/4).

(2) إعلام الموقعين (211/4).

(3) الموافقات (141-142/4).

(4) الموافقات، للشاطبي (143/4).

(5) الاعتصام (318-327/3).

مع جمهورهم، فهما آيتان بينتان يُستدل بهما على اتباع الرجل من ابتداعه(1).

وتعمل قناة دليل على تقرير هذا الأصل من خلال برنامجها: قصة فتوى، والأجر والأجران.

ولن أكرر نظرك أيها القارئ بما يعرضونه من قذى وأذى ولكني سأكتفي بمثال واحد إذ خصص برنامج (الأجر والأجران) حلقات عن التشبه بغير المسلمين.. فذكر أحد ضيوف البرنامج أن شيخ الإسلام ابن تيمية نقل الإجماع على تحريم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم، فنازعه ضيف آخر في خلط وتخليط إذ زعم أن هذا الإجماع منقوض بأن الأصل في العادات الإباحة، فأكد مقدم البرنامج أن الإجماع في هذه المسألة قد انتقض بمخالفة هذا الضيف - الذي لم يفهم المسألة أصلاً!!

وذلك الخلاف الذي جعله المترخص دليلاً قد يكون قولاً ضعيفاً، فيتولد من ذلك القول الضعيف الذي هو من خطأ بعض المجتهدين، وهذا الظن الفاسد الذي هو خطأ بعض الجاهلين: تبديل الدين، وطاعة الشيطان، ومعصية رب العالمين، فإذا انضافت الأقوال الباطلة إلى الظنون الكاذبة، وأعانتها الأهواء الغالبة فلا تسأل عن تبديل الدين بعد ذلك، والخروج عن جملة الشرائع بالكلية(2).

وفي السنوات الأخيرة بدت مسألة الترخص في الظهور الإعلامي مع المرأة في لقاءات سمجة أحياناً.

فظهر (سلمان العودة، وعائض القرني، عصام البشير) في أمسية في الكويت - حضرها نساء بعضهن سافرات - يتبادلون الطرائف والمضحكات(3).

وظهر (سلمان العودة) على قناته: (الإسلام اليوم) وهو يهدي أحد كتبه لمجموعة من الفتيات في محاضرة له في المغرب العربي.

وظهر (وزير) في وزارة دينية وهو متوسط في لقاء بين امرأتين ذات اليمين وذات الشمال.

وظهر (داعية) على قناة (الرسالة) في برنامج: (إن هذا القرآن يهدي للتي أقوم) يفسر القرآن وأمامه رجال ونساء وبعضهن سافرات!!

ويظهر بشكل مستمر شخص يدعى: (علي المالكي) على قناة (إم بي

(1) الرد على الجهمية، للدارمي ص(129).

(2) إغاثة اللهبان (166/2).

(3) نقلتها قناة (الرسالة) أكثر من مرة، آخرها بتاريخ (1431/10/8هـ).

سي) في برنامج يقدمه شاب وفتاة سافرة متبرجة.. وفي إحدى حلقات البرنامج اقترح (المالكي) على الشاب والفتاة أن يتزوجا!! فأكدت المذيعة بأنهما زملاء وأصدقاء فدعا لهما الشيخ بالبركة!! وفي حلقة أخرى دأبت المذيعة الشيخ مستنكرة عدم ابتسامته المعهودة!! وفي حلقة ثالثة دأب المذيع المذيعة وعبر عن شوقه إليها بمشاركة (المالكي)!!(1).

ونكر (المالكي) هذا في مقابلة معه على صحيفة (عكاظ) أنه يشاهد بعض حلقات من المسلسل السوري (باب الحارة) لما يستهويه فيه من قيم وأخلاق!!(2).

وخرج آخر على قناة الإخبارية مع مذيعة سافرة.. وآخر على قناة (أبو ظبي) وفي مكان اللقاء مجموعة من الفتيات والشباب.. وهكذا في مناظر مخجلة تأبأها المروءة فضلاً عن الدين والأخلاق. وخطورة هذا المسلك العملي للترخص: المجاهرة به مما يُجرئ الناس ويهون المنكر ويغيّر الحكم الشرعي.

(1) ينظر اليوتيوب:

- علا الفارس تغازل علي المالكي.

- علي المالكي وإشاعة بين علا الفارس وعلي الغفيلي.

- علي المالكي يخطب علا الفارس لعلي الغفيلي على الهواء.

(2) صحيفة عكاظ، العدد (3350)، التاريخ (1431/9/9هـ-2010/8/19م).



الفصل الثاني

آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة



آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة

يؤدي الانحراف إلى جملة من الآثار على الفرد والمجتمع والأمة سأعرض لها في هذا الفصل.

ولا بد من التنبيه على أن الانحراف كلٌّ لا يتجزأ فهو سلسلة متصلة الحلقات وعقد منتظم الحبات فإذا انفرط عقده وانقطعت سلسلته تناثرت حباته وسقطت حلقاته لتكون الفوضى الفكرية والعقدية، فإذا وجد نوع من الانحراف فلا بد أن يتبعه انحراف آخر يليه ثالث وهكذا.. وهذا يؤكد خطأ القراءة المجتزأة للانحراف: صوراً وآثاراً وسبل معالجة.. فنرفض منه نوعاً ونقبل أنواعاً، أو نقر بآثار نوع ونشكك أو نهون من آثار نوع آخر، أو نحشد الطاقات لمواجهة انحراف ونترك انحرافات أخرى تصول وتجول، إن استقراء التاريخ وقراءة الواقع تؤكد أن كل انحراف يولد انحرافاً آخر وهكذا..

وأضرب أمثلة تقرب المعنى وتوضح الصورة.. انتشار الفكر الإرجائي يؤدي إلى وجود الفكر الخارجي.. وفشو الانحراف الأخلاقي يؤدي إلى الانحراف الفكري.. ووجود التغريب الاجتماعي يلزم منه التغريب السياسي.. وظهور العلمانية والليبرالية يدفع إلى ظهور الطوائف الأخرى كالرافضة والصوفية وهكذا... ولذا ما تراه في هذا الفصل من آثار للانحراف ليست عسفاً أو خروجاً عن دائرة الموضوع، بل هي من آثار الانحراف، لكنها تحتاج إلى نظرة شمولية تستقرئ الواقع وتنظر إليه بشكل عام.

أولاً: آثار الانحراف على الفرد:

الأول: التخبط والقلق:

أكثر العارفين بالكلام والفلسفة بل وبالتصوف الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول تجدهم فيه حيارى⁽¹⁾.

قال الشهرستاني (ت: 548هـ):

لعمري لقد طفت المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك
المعالم
فلم أرا إلا واضعا كفت حائر
على ذقن أو قارعا سنّ نادماً⁽²⁾

وقال فخر الدين الرازي (ت: 606هـ):

نهاية إقدام العقول
عقالات
وأرواحنا في وحشة من
جسومنا
ولم نستقد من بحثنا طول
عمرنا
وأكثر سعي العالمين
ضلال
وغاية دنيانا أذى ووبال
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن .. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي⁽³⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728هـ): (وقد حكى لي أن بعض الأذكىاء - وكان قد قرأ على شخص هو إمام بلده ومن أفضل أهل زمانه في الكلام والفلسفة، وهو ابن واصل الحموي - أنه قال: اضطجع على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقبل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء⁽⁴⁾).

وكان ابن أبي الحديد البغدادي (ت: 655هـ) وهو من الشيعة

(1) درء تعارض العقل والنقل (1/159). منهاج السنة النبوية (5/270).

(2) منهاج السنة النبوية (5/271). مجموع الفتاوى (4/73). الطحاوية (1/244).

(3) درء تعارض العقل والنقل (1/160). مجموع الفتاوى (4/73). السير

(21/501).

(4) درء تعارض العقل والنقل (1/165).

المعتزلة المتفلسفة يقول:

فيك يا أغلوطة الفكر حار أمري وانقضى عمري⁽¹⁾
وقال الذهبي (ت:748هـ) عن أبي نصر الفاربي (ت:339هـ): (له تصانيف مشهورة من ابتغى منها الهدى ضلّ وحر)⁽²⁾.
وبعض هؤلاء أظهر الندم والأسف على ما مضى من عمره في غير ما ينفعه.
قال إمام الحرمين أبو المعالي (ت:478هـ): (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام)⁽³⁾.
وقال أيضاً: (لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به)⁽⁴⁾.
والسبب في حيرة أهل الأهواء وقلقهم: التناقض الذي وقعوا فيه لإعراضهم عن الوحي.
ففي كلام أرسطو وكلام أتباعه في الإلهيات من الخطأ الكثير والتقصير العظيم ما هو ظاهر لجميع عقلاء بني آدم، بل في كلامهم من التناقض ما لا يكاد يستقصى. وكذلك أتباع رؤوس المقالات التي ذهب إليها من ذهب من أهل القبلة، ففيها أيضاً من مخالفة العقل الصريح ما لا يعلمه إلا الله⁽⁵⁾.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:728هـ): (ومن تدبر كلام أئمة المعتزلة والشيعنة والفلاسفة وجددهم في غاية التناقض)⁽⁶⁾.
وفي زماننا هذا يعيش المنحرفون قلقاً وتخبطاً أظهره تردد بعضهم على المصحات النفسية. وقد أشار (منصور النقيدان) في مقالة له ما كان يعانيه من شكوك وحيرة⁽⁷⁾.
وذلك أن الله أمر المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، ولمّا

(1) درء تعارض العقل والنقل (161/1).

(2) السير (416/15).

(3) السير (473/18).

(4) السير (474/18).

(5) درء تعارض العقل والنقل (152-153/1).

(6) منهاج السنة (231/2).

(7) صحيفة الرياض، مقال بعنوان: (ماذا لو كان ابن تيمية في الإسلام مثل لوثر في المسيحية)، العدد (11523)، التاريخ (1426/7/1هـ-2005/1/5م).

ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يزدتهم هذا الرد إلا اختلافاً واضطراباً، وشكاً وارتياباً⁽¹⁾.

أوصى التابعي الجليل معاوية بن قررة (ت: 113هـ) ابنه إياساً فقال: (يا بني إياك والنظر في الكلام، فإن الناظر في الكلام كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد بصيرةً ازداد تحيراً)⁽²⁾.

وقال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت: 478هـ): (قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى عنه أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف برّه، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني)⁽³⁾.

وقال أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ): (أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام)⁽⁴⁾.

وقال ابن عقيل (ت: 513هـ): (وقد أفضى هذا الكلام بأهله إلى الشكوك)⁽⁵⁾.

وكان يقع لصدقة بن الحسين بن الحداد (ت: 573هـ) أحياناً حيرة وشك يذكرها في أشعاره ويقع له من الكلام والاعتراض ما يقع بسبب شبه المتكلمين والمتفلسفة⁽⁶⁾.

وقال ابن الجوزي (ت: 592هـ): (تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك، وبيعضهم إلى الإلحاد..⁽⁷⁾).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728هـ): (يغلب على سيف الدين الأمدي الحيرة والوقف، حتى إنه أورد على نفسه سؤالاً في تسلسل العلل، وزعم أنه لا يعرف عنه جواباً، وبنى إثبات الصانع على ذلك، فلا يقرر في كتبه إثبات الصانع، ولا حدوث العالم، ولا وحدانية الله، والنبوات، ولا شيئاً

(1) درء تعارض العقل والنقل (147/1).

(2) أحاديث في ذم الكلام، أبو الفضل المقرئ، ص (102).

(3) السير (471/18). طبقات الشافعية، السبكي (260/3).

(4) المنتظم (245/17). الحموية، ص (211).

(5) المفهم، القرطبي (6/691).

(6) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (310/2).

(7) تلبيس إبليس، ص (80). المنتظم (245/17).

بعظمة الله وقدره.

وقد قال تعالى: **يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَوْ كُنْتُمْ تَحِبُّوْنَ اٰلِهٰتِكُمْ فَاٰتُوْهُنَّ مَا كُنْتُمْ يَدْعُوْنَ** [الزمر: 67]. قال محمد بن كعب (ت: 108هـ): لو قدروا الله حق قدره ما كذبوه.

قال الجنيد بن محمد (ت: 241هـ): (أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة لله عز وجل عري من الإيمان)⁽¹⁾.

وقال سهل بن محمد (ت: 640هـ): (أقل ما في الكلام من الخسار سقوط هيبة الله من القلب)⁽²⁾.

الثالث: الخيبة والحرمان في الدنيا.

جرت عادة الله التي لا تبدل وسنته التي لا تحول، أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو يحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه، ويلبس المرئي اللابس ثوب زور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به، فالمخلص له المهابة والمحبة، والآخر المقت والبغضاء⁽³⁾.

والمنحرفون لا ينالون خيراً في الدنيا وما حصلوه من المتع أو اللذات أو الرياسات فإنما هو متعة زائلة تكون لونها من ألوان العقوبة والعذاب، إذ تكون عاقبة أمرهم خسراً.

فما حصلوه من المتعة أو اللذة أو الشهرة ينقطع عنهم فجأة فيزداد ألمهم وتتضاعف حسرتهم.

وإن حازوا منصباً ورئاسة صار الأمر إلى العزل أو النفي ثم هم قعدة في بيوتهم لا يملكون أمراً ولا نهياً وإن نالوا شهرة ومكانة وشرفاً انتهى بهم الحال إلى خمول الذكر وضمور الأمر لا يلتفت إليهم ولا يعبا بهم.

وهكذا في عبر ومواعظ لا يعتبر بها إلا من أراد الله به خيراً ووهبه كمال البصيرة وحسن النظر.

خالف أبو علي الثقفى الخراساني (ت: 328هـ) أهل السنة في

(1) ذم الكلام وأهله، للهروي (374/4).

(2) ذم الكلام وأهله، للهروي (257/3).

(3) إعلام الموقعين (16/6).

مسائل، فألزم البيت ولم يخرج منه إلى أن مات وأصابه في ذلك محن⁽¹⁾.
وقدم أبو طالب المكي (ت: 386هـ) بغداد فاجتمع عليه الناس في
مجلس الوعظ ولما خلط في كلامه بدعوه وهجروه وامتنع من الكلام على
الناس بعد ذلك⁽²⁾.

وحُصِبَ محمد بن الحسن بن فورك الأشعري المتكلم (ت: 406هـ)
بالحجارة وأخرج من جامع هراة⁽³⁾.

وأُنكر أهل السنة على محمد بن أحمد بن عبدالله الوليد شيخ المعتزلة
(ت: 478هـ) تدريسه للمعتزلة، فلزم بيته خمسين سنة إلى أن توفي⁽⁴⁾.

وتفرد سيف الدين الأمدي (ت: 631هـ) بعلم المعقولات والمنطق
والكلام وقصده الطلاب من البلاد، ثم انتقل إلى مصر، وتصدر بالجامع
الظافري، فأقرأ الفلسفة والمنطق، واشتهر فضله، وانتشرت فضائله، ثم
تصدى له أقوام باتهامه بمذهب الأوائل والتعطيل والانحلال، فخرج
مستخفياً، فنزل الشام ودرّس بالعزيرية مدة ثم عزله السلطان فأقام بطالاً
خاملاً في بيته حتى مات⁽⁵⁾.

وفي وقتنا هذا قام أحد المخدولين بكتابة المقالات والصحاح في
القنوات مساندة للمستغربين في دعوتهم للفساد والانحراف خاصة فيما
يتعلق بقضايا المرأة، وفي النهاية كافأوه بطرده من الكتابة في إحدى
صحفهم، وما ينتظره أعظم وأنكى إن لم يبادر بالتوبة والرجوع.

وأخر كتب وظهر وهو يدعو إلى الفساد والانحراف بقوله وفعله
ورفعه المنحرفون وأجروا معه المقابلات وعقدوا اللقاءات وسموه:
فضيلة... ثم غرل وطرد من عمله حتى نالته السنة الساخرين وشماتة
الشامتين.

وأخر ظن أن المكانة عند الخلق بالوراثة فلما لم يجدها ذهب لبيحث
عنها عند المناققين فكتب مقالات وخرج في فضائيات قدّم لهم كل كل ما
يريدون لعله أن يظفر منهم بنظرة رحمة أو مسحة إشفاق فلم يجد منهم
شيئاً فأنكفأ على نفسه.

(1) السير، (282/15).

(2) تاريخ بغداد (4/151). المنتظم (14/385).

(3) ذم الكلام وأهله (4/419).

(4) الكامل (6/298). البداية والنهاية (16/97).

(5) السير (22/364-365). البداية والنهاية (17/214-215).

أو مُنِعَ من التدريس والإفتاء، وآخر تسلَّطَ عليه علماء الحق فكشفوا أمره وهتكوا ستره بياناً لضلاله وكشفاً لانحرافه، وآخر رفع الله عنه القبول في الأرض فاستوحشت منه النفوس ونفرت منه القلوب فأصبح يتطلع إلى من يلقي عليه السلام أو يبادلته التحية.

أعرض الحفاظ عن أبي جعفر الطوسي (ت: 460هـ) لبدعته، وأحرقته كتبه نوابات في رَحْبَةِ الجامع، ثم استنتر⁽¹⁾.

الخامس: التلون والتنقل:

من آثار الانحراف العقدي كثرة التنقل والتلون، فلا يكون العبد ملتزماً جادة الحق والمعتقد الصحيح.

قال حذيفة رضي الله عنه (ت: 36هـ): (إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون)⁽²⁾.

وقال إبراهيم النخعي (ت: 96هـ): (كانوا يكرهون التلون)⁽³⁾.

وقال عمر بن العزيز (ت: 99هـ): (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)⁽⁴⁾.

وقال مالك (ت: 179هـ): (الداء العضال التنقل في الدين)⁽⁵⁾.

فتجد أمثال هؤلاء يعيشون دهرًا لا يلوون على شيء، لم يحددوا وجهتهم، ولم يتبين منهجهم، يتنقلون بين المناهج والمذاهب.

سئل أحدهم فقيل له: هل أنت داعية؟ أم مفكر؟ أم معارض؟ أم طالب علم؟ فأطرق برأسه، ثم قال: لا أدري.

وآخر كان يكتب مقالات في مناهضة التغريب والإفساد وكشف وسائله وأساليبه، ثم انقلب فأصبح عوناً له وجندياً من جنوده.

وثالث هاجم (غازي القصيبي) في محاضرات له وشنَّع عليه في القديم، ثم انقلب في الجديد فأصبح يتودد إليه ويثني عليه وذهب إلى البحرين لزيارته فبقي يومين حتى أذن له.

(1) السير (335/18).

(2) شرح اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (237/3).

(3) جامع بيان العلم وفضله (425/1).

(4) الشريعة، الأجرى (244/2).

(5) الإبانة (506/2).

وكان يهاجم النظام الحاكم في تونس في القديم، ثم زاره قبل سقوطه وأخذ يثني عليه ويغالط الواقع في الحال الجديد.

ورابع خطب خطبة في القديم بعنوان: (رسالة إلى محبي الغناء) حشد الأدلة من الكتاب والسنة والآثار في بيان تحريمه.

وقال في واقعه الجديد في برنامج له على قناة اقرأ بعنوان: (ثورة التجديد): لا يوجد نص في تحريم الغناء!!

ومن كانت هذه حالته فقد وقع في الفتنة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فليُنظر، فإن كان رأى حلالاً كان يراه حراماً، فقد أصابته الفتنة، وإن كان يرى حراماً كان يراه حلالاً، فقد أصابته)⁽¹⁾.

قال الذهبي (ت:748هـ): (إن من البلاء أن تعرف ما كنت تتكر، وتتكر ما كنت تعرف)⁽²⁾.

وصنّف آخر من المنحرفين كان قومياً أو بعثياً أو شيوعياً يعادي الغرب ويعارض مشروعه ثم تحول إلى تغريبي يوالي الغرب ويساند مشروعه.

وقد قال محمد سعيد طيب في مقابلة معه: (الليبراليون مراوغون، ونفعيون، ومناققون)⁽³⁾.

وإذا كان من صفات المنحرفين: التلون والتقلب، فإن من صفات الأنبياء والمؤمنين: الثبات والرسوخ.

وقد جاء ذكر الثبات والتنشيط في سياق المدح والثناء كثيرا في القرآن: منه من الله، وصفة لأوليائه.

وبعض الخلق يغالط نفسه، ويفسر تلونه وتنقله، واضطراب أمره بأنه تطور وتغيير، وأن ذلك من طبيعة البشر، وأن الثبات والركون والركود على شيء يخالف الطبيعة البشرية.. وهكذا في خلط وتلبيس كي يخدع نفسه وغيره.

وهذا التلون والتقلب جعل بعضهم يتصرف تصرفاً غير سائغ ولا

(1) أخرجه الحاكم (8443)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(2) تذكرة الحفاظ (328/1).

(3) مقابلة مع محمد طيب في برنامج: (عيشو معنا) على قناة (إل بي سي) يوم الخميس الموافق (18/5/1430هـ).

مقبول البتة، إذ جمع في مؤتمر سماه (النهضة) - وليس له من اسمه نصيب بل هو الترددي والسقوط - مجموعة من الرافضة والنصارى والليبراليين والظلاميين ليلتقوا بمجموعة من الشباب من الجنسين ليدرّبوهم على كيفية النهوض بمجتمعهم - زعموا -.

وفي رأيي أن هذا المؤتمر كشف عن ثلاث عورات لهم، هي:
الأولى: تواري الولاء والبراء عند هؤلاء بمساندتهم للرافضة والنصارى والليبراليين.

الثاني: ما سبق أن أكدته في أكثر من كتابة من أن هناك مشترك يتفق عليه طوائف الضلال: الموقف من العلماء، السلفية، الكيان القائم.

الثالث: مقدار التخبط عند هؤلاء: مسالمة للأعداء، وإثارة للفتن، وتشكيكاً في أحكام الشرع.

ومن صور التلون والتنقل: المنهج التوفيقي الذي يريد أن يوفق بين الإسلام والرؤية الغربية لجوانب من الحياة، وبين المنهج السلفي ومداهنة أهل البدع وملابنة المنافقين.

وهذا المنهج ليس جديداً في حياة المسلمين لكنه يظهر حسب الظروف السياسية والفكرية لكل مرحلة.. وانظر كيف كتب بعض المنتسبين للدعوة كتباً في دعوى أن الاشتراكية من الإسلام تقرباً لجمال عبدالناصر ومن سار في فلكه.

ووجد المنهج التوفيقي في زماننا بسبب تأثيرات المناهج والفرق والاتجاهات سواء أكانت غربية أم إسلامية.

وحتى تتكشف حقيقة هذا الاتجاه سأضرب خمسة أمثلة لتقيس عليها ما تراه من مواقف وتصريحات وشخصيات.

فالمثال الأول: تراه في الدكتور (أحمد زكي يماني) الذي يزعم تبني الفكرة الإسلامية لكنه يتبنى تغريب المرأة كما تراه واضحاً في كتابه: (الإسلام والمرأة).

والثاني: في الدكتور (محمد بن أحمد الرشيد) الذي أصدر كتاباً بعنوان: (المرأة المسلمة بين إنصاف الدين وفهم المغالين) شنع فيه على الحجاب والفصل بين الجنسين.

والثالث: في الدكتور (أحمد التويجري) الذي شارك بمداخلة على قناة (دليل) استضافت الدكتور (عبدالله النفيسي) فأخذ يكرر مقالة يكذبها الواقع ويردها التاريخ وهي الفرق بين إيران والمذهب الشيعي... حيث إن المشكلة بزعمه في الأولى لا في الثانية.

والرابع: في الدكتور (ثريا عبيد) التي قالت في مقابلة معها: (كوني مسلمة ومسلمة إيماناً وممارسة يساعدي في تفهم المشكلات في المجتمعات الإسلامية.. أنا أسعى إلى تغيير الصورة النمطية عن المرأة المسلمة..)⁽¹⁾.

وثرى عبيد تخرج في وسائل الإعلام بل في نفس المقابلة سافرة عن وجهها كاشفة عن شعرها ولباسها إلى ركبتيها!!

والخامس: في الدكتور (غازي القصيبي) الذي سعى إلى تغريب المرأة وإفسادها وله مقالات ومواقف في ذلك - سيذكرها التاريخ - يحمل تديناً شخصياً يتمثل في أداء الصلاة وابتهالات شعرية نظمها.

وهكذا في أمثلة كثيرة تجدها متمثلة في كتب وشخصيات وتوجهات تستطيع الحكم عليها إذا عرفت أن في الناس من يجمع بين المتناقضات أو يرفع أكثر من راية، وهي من التلون والتقلب.

السادس: الإلحاد.

من آثار الانحراف أن يؤول بصاحبه إلى الإلحاد، فينكر المغيبات، أو يسخر من الدين ويهزأ بشعائره، أو يعلن المروق من الإسلام والارتداد عنه.

قال ابن عقيل (ت: 513هـ): (وقد أفضى هذا الكلام بكثير من أهله إلى الإلحاد)⁽²⁾.

وشاهد هذا حال ذلك الرجل الذي خرج على الأشهاد في مقابلة معه على قناة العربية ليقول إنه اتخذ الإنسانية ديناً وأنه يقف موقف المحايد من الأديان⁽³⁾، لتعرف كيف يؤول الانحراف بأهله.

وتصفح الشبكة الليبرالية لترى خذلان الله لطائفة تعلن إلحادها: جداً لوجود الله، أو تشكيكاً فيه، أو استهزاءً بقدره العظيم، أو سخريةً بأنبيائه وملائكته.

وتطاول (حمزة كشغري) على موقع التواصل الاجتماعي (تويتر)

(1) مقابلة مع ثريا عبيد في برنامج (لقاء اليوم) على قناة الجزيرة في يوم الأحد الموافق (2000/5/16م).

(2) المفهم (6/693).

(3) مقابلة مع (منصور النقيدان) على قناة (العربية) في برنامج (إضاءات)، التاريخ (2004/9/15م).

على مقام النبي @، وتعرضت (حصة آل الشيخ) لمقام الألوهية على موقعها أيضاً.

ومسكين خدعه المنافقون ونفخ الشيطان فيه فظن نفسه مفكراً وعبقرياً وفيلسوفاً فأخذ يهرف بمقالات توجب استنابته، منها قوله: (المُسلّمات تلغي عقول كل الأجيال ولا يمكن استعادة هذه العقول المعطلة إلا بنقد المُسلّمات. فالنقد هو مفتاح قدرات العقل وهو بوابة الازدهار، فإذا كان نقد المُسلّمات هو شرط التقدم فكيف نتخلى عنه؟ إلا إذا كنا نريد استمرار التخلف ونهوى تحمل كل النتائج الفظيعة التي تترتب على ذلك)⁽¹⁾.

وعشعش الشيطان في رأس شخص يدعى نجيب (بماني) فلمّا لم يجد من يضربه عليه أخرج ما فيه من الباطل إذ اعتبر في مقابلة معه في صحيفة (حوار وتجديد) أن عصر الترهيب بالدين انتهى وأن عذاب القبر وشجاع الأفرع، ونار عدن التي تصل الشام، والرجل القحطاني الذي يسوق الناس بعصاه وبين يديه نهران نوع من الخرافات التي لا معنى لها، وقال إنه لا يوجد جنة نعيم دائمة ولا عذاب أبدي في الآخرة. وأنكر هذا المنحرف في مقالة له بعنوان: (ما قيل في الحوض والصراط)⁽²⁾ الحوض والصراط ورؤية الله في الآخرة.

وكتب مقالاً بعنوان: (هل فرعون مات كافراً؟)⁽³⁾ ادعى فيه إيمان فرعون تكديباً للقرآن والسنة وإجماع المسلمين⁽⁴⁾.

وكتب من سمى نفسه (عبد العزيز السويد) مقالاً في صحيفة المدينة بعنوان: (المفهوم المدني للألوهية) زعم فيه أن ما جاءت به الرسل من صفات الله الذاتية والفعلية هو محض تخيل أو تخيل، لا حقيقة له، وهذا مذهب الفلاسفة الملحدين.

وكتب مسكين آخر يدعى: (حمد الراشد) كتاباً بعنوان: (دفاع عن العلمانية). وعنوانه كاف في الدلالة على مضمونه.

(1) البليهي في حوارات الفكر والثقافة، ص(269).
(2) صحيفة عكاظ، العدد (16334)، التاريخ (14/6/1432هـ).
(3) صحيفة عكاظ، العدد (3474)، التاريخ (15/1/1432هـ-21/11/2010م).
(4) قال شيخ الإسلام: (كفر فرعون، وموته كافراً، وكونه من أهل النار هو مما علم بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنصارى،...، ولهذا كان المسلمون متفقين على أن من توقف في كفره، وكونه من أهل النار فإنه يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً، فضلاً عما يقول إنه مات مؤمناً). جامع الرسائل (203-204/1).

وظهرت مجموعات من الجنسين تسمى نفسها: (عبدة الشيطان) لها اجتماعاتها ومراسيمها الشيطانية.

وفي أثر من آثار الابتعاث النكدة الذي جرى التوسع فيه في السنوات الأخيرة انسلخ طائفة من المبتعثين من دينهم وأعلنوا ارتدادهم عن دينهم ودخولهم في النصرانية⁽¹⁾.

كما عملت الصحافة على الرفع من شأن الملاحدة بمنحهم ألقاب التشريف والتكريم، فجعلت من عبدالله القصيمي مفكراً وفيلسوفاً وعقربياً. ولذا أصبحت كتبه متداولة وبدأ اسمه ينتشر بين الشباب⁽²⁾.

وقبل ذلك انظر إلى ما سطره قلم العالم المجاهد الغيور على دينه وأمته الشيخ عبدالرحمن الدوسري (ت:1399هـ) في كتاب بعثه إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله سنة (1381هـ) جاء فيه: (ولا يفوتني قبل الختام تذكيركم بأن القصيم الذي هو ركيزة التوحيد في نجد أصبح الآن فيه شباب ينكرون الخالق..)⁽³⁾.

ويدل على وقوع الإلحاد في ذلك الزمن قول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت:1398هـ): (دعاة الإلحاد الآن يخاف على الشباب منهم أكثر مما يخاف من دعاة الوثنية، فإنهم بثوه بأساليب عديدة في الناس فكان ضررهم أكثر، والصولات والجولات الآن معه أكثر)⁽⁴⁾.

وقد كانت نوافذ الإلحاد المتاحة في ذلك الزمن: رواج المذاهب الإلحادية كالشيوعية والبعثية والقومية في المجتمع.

وفي زماننا استجدت نوافذ أخرى للإلحاد تمثلت في : غلبة العلمانية وانتشار أفكارها، وابتعاث صغار السن إلى بلاد الكفار، وافتتاح المدارس الأجنبية.

وإني أرى أن زماننا هذا ستظهر فيه موجة الانحراف المتمثل في الإلحاد وإنكار المغيبات والتطاول على الشريعة وادعاء النبوة أو الإلهية أو المهدية... إذ جرى الأمر أنه متى ضعف سلطان الشريعة، وظهر أهل الأهواء، وأطلت البدع برأسها أعلن المنحرفون إنحرافهم وجأهروا

(1) الابتعاث.. تاريخه وآثاره، عبدالعزيز البداح، ص(37).

(2) انظر تحقيق بعنوان: (عبدالله القصيمي يعود من جديد)، صحيفة الرياض، التاريخ (1428/1/6هـ).

(3) الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد موسى ومحمد الحمد، ص(101).

(4) فتاوى محمد بن إبراهيم (31/1).

بآرائهم، والتاريخ يشهد على ذلك.

ويعتبرونه تعدديةً وحريةً وصورةً من صور النضج المجتمعي والفكري... مجانيةً للصواب وأصحابها إما مغالطون أو ينقصهم إدراك الأمور على حقيقتها أو لهم مآرب في نشر الخلاف في المجتمع، إذ في بداهة العقول أن الناس كلما وقع الخلاف بينهم زاد تفرقهم وعظم شتاتهم، وهذا ما يؤكد التاريخ ويشهد به الواقع.

وتزداد أهمية التنبيه والتحذير من خطورة الخلاف في مجتمعنا خاصة الذي عاش زماناً على كلمة سواء فكان هذا سبباً في اجتماعه وتماسكه، وإذا زادت هوة الخلاف الذي بدأ منذ سنوات بتشجيع التوجهات وتمكين الانحرافات فإن هذا مؤذن ببلاءٍ وشرٍ وفتنةٍ.

الثاني: سقوط الدول وزوال الممالك:

من آثار الانحراف سقوط الدول وزوال الممالك وشواهد هذا في القديم والحديث كثير.

فالإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبب لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

أثر الانحراف في زوال دولة بني أمية:

فالجعد بن درهم - مؤسس مذهب الجهمية - كان مؤدب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وإليه نسب، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة، فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتقم لهم⁽²⁾.

أثر الانحراف في زوال دولة بني العباس:

وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم - يعني الباطنية - فاشتغل بالفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية⁽³⁾.

أثر الانحراف في زوال دولة بني عثمان:

لما هيمنت الفلسفة وعلم الكلام، وانتشرت مظاهر الشرك والبدع والخرافات، وقويت الصوفية، وظهرت القبورية، وازداد نشاط الفرق

(1) مجموع الفتاوى (179/13).

(2) مجموع الفتاوى (177/13).

(3) مجموع الفتاوى (177/13).

الباطنية، أدى ذلك إلى ضعف الدولة العثمانية ثم اضمحلالها(1).

الثالث: تسليط الأعداء:

يسلط الله سبحانه وتعالى الأعداء من الكفار على بلاد الإسلام إذا انتشرت البدع والانحرافات.

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئاً بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة.

فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار.

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار.

وكان من أسباب دخول التتار ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع، حتى إن الرازي صنّف كتاباً في عبادة الكواكب والأصنام وعمل السحر سماه: (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم) ويقال: إنه صنّفه لأم السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه، وكان من أعظم ملوك الأرض، وكان للرازي به اتصال قوي. فلما ظهر بأرض المشرق بسبب مثل هذا الملك ونحوه، ومثل هذا العالم ونحوه ما ظهر من الإلحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار فأبادوا هذا الملك، وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر(2).

وبالجملة فالشرك والبدعة والهوى والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسوله هو أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شرعه فلا سمع له ولا طاعة، فالله تعالى أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بتوحيده، ونهى عباده عن

(1) الانحرافات العقديّة والعلمية، علي الزهراني (1/592-243) (2/111).

(2) مجموع الفتاوى (13/182-178).

برنامج (كلام نواعم) على قناة (إم بي سي) بجواز الاختلاط بين الجنسين بحجة وجوده في الحرم المكي الشريف⁽¹⁾.

وشاهد خامس: قدّمت إذاعة (أ أ إف إم) وهي إذاعة فنية خلال أيام الحج لسنة (1432هـ) برنامجاً يومياً بعنوان: (الحج خطوة خطوة) استضافت فيه المذيعه امرأة تدعى: (اعتدال إدريس) تتحدث فيه عن أحكام الحج والعمرة.. وفي كلامها جهل وجرأة واستخفاف!!

وشاهد سادس: ذهب (طارق الحبيب) - وهو طبيب نفسي - في برنامج (في أسبوع) يوم الجمعة الموافق (11/2/1433هـ) على قناة: (إم بي سي) إلى جواز تهنئة الكفار بأعيادهم.

وشاهد سابع: خرج شخص يدعى (العلويط) في برنامج (حديث الخليج) على قناة الحرية يوم الجمعة الموافق (28/3/1433هـ) يتحدث عن بدعة إغلاق المحال أوقات الصلاة تحدث فيها بجهل وخطأ وخبث وكان مما قاله هذا المسكين: (إغلاق المحلات عمل فاضل لكنه ليس بمشروع)!!

وشاهد أخرى تراها عندما تدخل الإنترنت وترى الجرأة على الفتوى والحديث في الشأن العام لكل من أنشأ له موقعاً وسمى نفسه: فضيلة الشيخ!! هذا زماننا.. تحول إلى زمن الأصاغر والصعاليك والأقزام.

والأعظم في ظل الانحراف أن يفسد الدين، وتطمس معالم الشريعة، وتغير رسومها، إذا تصدر أهل الباطل، وارتفعت ألويتهم.

وإذا كانت زلة العالم الصالح تهدم الدين، وتصد عن الحق، وتزين الباطل للعامة، فكيف بتخاطبات عالم السوء والباطل.

قال الشاطبي (ت:790هـ): (حذر السلف الصالح من زلة العالم، وجعلوها من الأمور التي تهدم الدين، فإنه ربما ظهرت فتطير في الناس كل مطار، فيعدونها ديناً، وهي ضد الدين، فتكون الزلة حجة في الدين)⁽²⁾.

ومن وجوه فساد الزمان وتغير الأحوال أن يكون الدعاة من أسباب نشر الانحراف في الأمة إما بالدعوة إليه وإما بالتنفير من دعوة الحق.

وأذكر لك في هذا المقام شاهدين:

أما الأول: فقد قدّم الدكتور (محمد العريفي) حلقة عن الأضرحة على قناة (إقرأ) مما أغاظ القبورية الذين اتصلوا بأحد الدعاة المنتسبين للسنة

(1) برنامج (كلام نواعم) على قناة (إم بي سي) يوم الأحد الموافق 16/8/1429هـ.

(2) الاعتصام (321/3).

الذي استنكر على العريفي طرحه لمثل هذه الموضوعات!!
 وأما الثاني: فهو قيام أحد دعاة السنة في لندن بتدريس كتاب التوحيد
 لشيخ الإسلام (محمد بن عبدالوهاب) وهذا لم يرق لداعية في بلادنا إذ
 استنكر عليه ذلك الحرص على تعليم تفاصيل العقيدة والتوحيد واستحب له
 الاقتصار على الأمور العامة في الدين!!

وهذا مبني على دعوة الجمع والتخليط التي يتبناها المتأثرون بمنهج
 الإخوان المسلمين، وصرّح بها أحدهم في برنامج (وجوه إسلامية) على
 قناة العربية إذ قال: (إنه يرفض تصنيف الأشخاص من خلال آرائهم
 وأفكارهم معتبراً أن المجتمع بجميع أطباقه يعد إسلامياً!!)⁽¹⁾.

ومثله: آخر جمع مقالات بينها مقالات لمنحرفين عقدياً وفكرياً بل
 بعضهم عُرف بتهجمه على الإسلام وأحكامه وجعلها في كتاب سماه:
 (النفائس)!!!⁽²⁾.

وصرّح بهذا المنهج التخليطي في موضع آخر حيث قال عن الواجب
 في هذا العصر: (السعي للإصلاح والاستخلاف في الأرض، بعقيدة
 السلفي، وحبوية الحركي، وعقلية الفكري، ومنهجية الخططي، وروحانية
 التبليغي، ليكون الجميع على نفس واحد...)⁽³⁾.

(1) برنامج (وجوه إسلامية)، قناة العربية، التاريخ (16/9/1431هـ).

(2) النفائس، علي العمري.

(3) رؤية تطويرية للصحة الإسلامية، علي العمري، ص(12).



الفصل الثالث

سبل مواجهة الانحراف



أولاً: الرجوع إلى الكتاب والسنة.

عن علي رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **M** ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله.. **L**. الحديث(1).

وفي رواية: **M** أتاني جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة بعدك. قال: فقلت: فأين المخرج يا جبريل. فقال: كتاب الله.. **L**. الحديث(2).

ولذا من أراد النجاة في زمن الفتنة، فليزِم الكتاب والسنة، ولا يعتر بكثرة الهالكين، ولا يستوحش من قلة السالكين، فإن مخالفة الجمهور تحتاج إلى مجاهدة **چچچچ** [العنكبوت:69].

قال الشاطبي (ت:790هـ) متحدثاً عن نفسه: فلما أردت الاستقامة على الطريق، وجدت نفسي غريباً في جمهور أهل الوقت، لكون خطتهم قد غلبت عليها العوائد، ودخلت على سننها الأصلية شوائب من المحدثات الزوائد، ولم يكن ذلك بدعا في الأزمنة المتقدمة، فكيف في زماننا هذا؟ فقد روي عن السلف الصالح من التنبيه على ذلك كثير، فعن أم الدرداء قالت: دخل أبو الدرداء وهو غضبان، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أنهم يصلون جميعاً(3).

وعن الحسن قال: لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة(4)(5).

(1) أخرجه الترمذي (2906)، وقال: غريب.

(2) أخرجه أحمد (704).

(3) أخرجه البخاري (650).

(4) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، ص(74).

(5) الاعتصام (1/20-22).

ثانياً: قيام العلماء بالواجب.

أهل السنة مأمورون بعبادة أهل البدع، والتشريد بهم، والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم⁽¹⁾.

وسكوت العلماء عن البدع وتفاضيهم عن المبتدعة شرٌّ عريض وعمل مذموم **بِحِكْمِ كَوْنِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ** [المائدة:63] أي: بنس الصنيع صنيع الربانيين والأخبار في تركهم النهي⁽²⁾.

ولا يمكن ظهور البدع والأهواء والعلماء يقومون بالواجب في رد البدع وفضح أهلها والتحذير منهم.

فالقاهرة لما كانت مع العبيديين، وكانوا يظهرن التشيع، لم يتمكنوا من ذلك، حتى منعوا من فيها من أهل العلم والدين من إظهار علمهم⁽³⁾.

ووصف السلف الصالحون والأئمة السابقون بالشدة على أهل البدع والصرامة معهم وهذا تجده ماثلاً في تراجمهم في كتب الأخبار.

كما كان للعلماء والقضاة مواقف عملية في حماية الأمة من الانحراف.

فلما تولى أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ت:240هـ) القضاء فرّق حلق أهل البدع، وشرّد أهل الأهواء من الصفرية والإباضية المغيرية، وكانوا فيه حلقاً، يتناظرون فيه، ويظهرون زيفهم، وعزلهم أن يكونوا أئمة، أو معلمين لصبيانهم، أو مؤذنين، وأمرهم ألا يجتمعوا، وأدب جماعة منهم بعد هذا، خالفوا أمره، وأطافهم، وتوب جماعة منهم⁽⁴⁾.

ونصر شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي (ت:481هـ) الدين والسنة من غير مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير، وقد قاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت، وسعوا في روحه مراراً، وعمدوا إلى هلاكه أطواراً فوقاه الله شرهم، وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه. وكان جذعاً في أعين المتكلمين، وسيفاً مسلواً على المخالفين، وطوداً في السنة لا تزعزع الرياح⁽⁵⁾.

(1) الاعتصام (210/1).

(2) جامع البيان للطبري (256/9).

(3) منهاج السنة (179/6).

(4) ترتيب المدارك، القاضي عياض (347/1).

(5) تاريخ الإسلام، حوادث (481هـ-490هـ) ص(54).

ولما شهد شاهدان على باطني بأنه دعاهما إلى مذهبه، أفتى الفقهاء بقتله منهم ابن عقيل الحنبلي، وكان من أشدهم عليه، فقال له الباطني: كيف تقتلونني وأنا أقول لا إله إلا الله؟ قال ابن عقيل: أنا أقتلك، قال الباطني: بأي حجة؟ قال بقول الله تعالى: *يچؤ ژ وچ [غافر:84]*. فقتل، وذلك في سنة (490هـ)⁽¹⁾.

وكان الشيخ الزاهد العابد (أبو بكر بن قوام بن علي بن معلى) (ت:658هـ) شديد الإنكار على أهل البدع، لا تأخذه في الله لومة لائم، رجع به خلق كثير من الرافضة في بغداد وصحبوه⁽²⁾.

وسعى الشيخ الحافظ (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي) (ت:708هـ) عند أمير غرناطة ووصف له حال الفازازي وكان ساحراً أدعى النبوة وتبعه خلق فحوكم وحكم عليه الشيخ (أبو جعفر) بالقتل⁽³⁾.

وفي زماننا كان لعلماء الآخرة جهودهم في نصرة السنة والذب عنها والرد على المخالفين من المبتدعة والمنحرفين دعاة التيارات الهدامة، فكان للإمام محمد بن إبراهيم (ت:1389م) جهوده في مواجهة الصوفية والرافضة والقبورية وحماية البلاد من عاديات الإلحاد والتغريب، ثم الشيخ عبد الرحمن الدوسري (ت:1399هـ) والشيخ عبدالله بن حميد (ت:1401هـ) والشيخ عبدالعزيز بن باز (ت:1420هـ) والشيخ محمد بن عثيمين (ت:1421هـ) والشيخ بكر أبو زيد (ت:1429هـ) والشيخ عبدالله بن جبرين (ت:1430هـ) والشيخ صالح اللحيدان والشيخ عبدالمحسن العباد والشيخ صالح الفوزان والشيخ عبدالرحمن البراك وغيرهم. تجد موافقهم مبنوثة في فتاواهم وكتبهم وما تركوه من ثراث علمي عظيم .

(1) المنتظم (39/17).

(2) تاريخ الإسلام، وفيات (651-660) ص (376).

(3) الدرر الكامنة (89-90/1).

ثالثاً: جهود الولاية والسلطين.

المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي من فاتهم خسروا خسراً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا⁽¹⁾.

وذكر الشاطبي(ت:790هـ) أن الشريعة وعمل الصحابة والتابعين وخلفاء المسلمين دل على أنواع من العقوبات يجب القيام بها في حق أهل البدع والأهواء بحسب حال البدعة في نفسها، من كونها عزيمة المفسدة في الدين أو لا، وكون صاحبها مشتهراً بها أو لا، وداعياً إليها أو لا، ومستظهاً بها أو لا. ومن تلك العقوبات: الإرشاد والتعليم وإقامة الحجة، والهجران وترك الكلام والسلام، والتغريب والضرب والسجن والقتال والقتل، والتكفير، والتجريح في الجملة فلا تقبل شهادتهم، ولا يكونون ولاية ولا قضاة ولا ينصبون في مناصب العدالة من إمامة أو خطابة، وترك عيادة مرضاهم، وترك شهود جنازتهم⁽²⁾.

وإذا قام الولاية والسلطين بواجبهم في حماية الشريعة والذود عن العقائد: نشرها للسنة، واتباعاً لسلف الأمة، ومنعاً للبدع، وتأديباً للمبتدعة، كان ذلك من أعظم أسباب حماية الأمة من الانحراف.

ولبعض الولاية والسلطين في القديم والحديث جهود واضحة في حماية الشريعة والمحافظة على عقائد المسلمين.

أما في القديم:

فقد [أدب عمر رضي الله عنه (صبيغاً) لما قدم المدينة وأخذ يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت. قال: أنا عبدالله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى دمي رأسه. فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أحد في رأسي]⁽³⁾.

وثبت أن علياً رضي الله عنه أحرق غالبية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية⁽⁴⁾.

وكان خالد بن عبدالله القسري (ت:126هـ) أمير خراسان شديداً على

(1) السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص(21).

(2) الاعتصام (1/304-298).

(3) أخرجه الدارمي (1/54).

(4) الفتاوى (28/475).

أهل الأهواء فقتل نفراً منهم، فقتل بيان بن سمعان التميمي (ت:120هـ) وهو من غلاة الشيعة القائلين بإلهية علي رضي الله عنه⁽¹⁾. وقتل المغيرة بن سعد العجلي (ت:120هـ) لما ادعى النبوة وغلا في حق علي رضي الله عنه⁽²⁾.

وكان الخليفة العباسي محمد بن عبدالله بن محمد الهاشمي الملقب بالمهدي (ت:169هـ) قصاباً في الزنادقة، باحثاً عنهم، معادياً لأولي الضلالة حنقاً عنهم، وأفنى منهم خلقاً كثيراً، ولما رفع أهل البدع رؤوسهم، وأخذوا في الجدل، أمر بمنع الناس من الكلام، وأن لا يخاض فيه، وكتب إلى الأمصار يزجر أن يتكلم أحد من أهل الأهواء في شيء منها⁽³⁾.

ثم جاء بعده ولده موسى الملقب بالهادي (ت:170هـ) فعمل على استئصال الزنادقة وتبعضهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وكان والده المهدي أوصاه بقتل الزنادقة⁽⁴⁾.

ثم جاء بعده أخوه هارون الملقب بالرشيد (ت:193هـ) فكان يحب العلماء، ويعظم حرمة الدين، ويكره المراء والجدال في الدين ومعارضة النصوص. ويقول: إنه لخليق أن لا ينتج خيراً.

وبلغه عن بشر المريسي القول بخلق القرآن، فقال: لئن ظفرت به لأضربن عنقه.

ولذا قال الفضيل بن عياض لأحد أصحابه: الناس يكرهون هارون، وما في الأرض أعز علي منه، لو مات لرأيت أموراً عظيماً.

وقال أيضاً: ما من نفس تموت أشد علي موتا من هارون أمير المؤمنين، ولوددت أن الله زاد في عمره من عمري، فكبر ذلك على الناس، فلما مات هارون وظهرت تلك الفتن، وجاء المأمون بعده وحمل الناس على القول بخلق القرآن، قلنا: الشيخ كان أعلم بما تكلم به⁽⁵⁾.

وفي سنة (313هـ) بلغ الخليفة العباسي المقتدر بالله أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثا، فينالون من الصحابة، ولا يصلون

(1) ميزان الاعتدال (357/1).

(2) ميزان الاعتدال (160/4).

(3) السير (403-400/7). البداية والنهاية (553/13). تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص(373).

(4) السير (443/7). البداية والنهاية (553 / 13). تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص(382).

(5) تاريخ بغداد (11-18/16). تاريخ الخلفاء، ص(388).

الجمعة، فأمر بالاحتياط عليهم، واستنقتى العلماء في المسجد المذكور، فأفتوا بأنه مسجد ضرار يهدم كما هدم مسجد الضرار، فضرب منهم من قدر عليه الضرب المبرح، ونودي عليهم، وأمر بهدم المسجد وجعل مكانه مقبرة⁽¹⁾.

واشتهر ببغداد أمر رجل يعرف بابن شنبوذ (ت:328هـ) يقرأ الناس ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف، ويتبع الشواذ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس، فوجه السلطان فقبض عليه، واستتيب فأبى أن يتوب، فأشار القضاة والفقهاء بعقوبته بما يضطره للرجوع، فأمر بتجريدته وضربه بالدرّة على قفاه، فضرب ضرباً شديدا فلم يصبر، واستعاث وأذعن بالرجوع والتوبة فخلي عنه، وأعيدت عليه ثيابه واستتيب، وكتب عليه كتاب بتوبته وأخذ فيه خطه بالتوبة⁽²⁾.

ولما أقرأ المقرئ محمد بن الحسن بن يعقوب البغدادي (ت:354هـ) بحروف تخالف الإجماع، أنكر عليه، ورفع أمر إلى الخليفة، واستتيب بحضرة الفقهاء والقراء وكتب عليه محضر بتوبته⁽³⁾.

ولما عظم شأن الباطنية في القرن الرابع والخامس تتبعهم السلطان السلجوقي (بركيا روق) أمير خراسان (ت:498هـ) وقتل خلقاً منهم ممن تحقق مذهبه ومن اتهم به، فبلغت عدتهم ثمانمائة ونيف⁽⁴⁾.

وفي سنة (448هـ) أمر الخليفة بإلزام الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل، وأمروا أن ينادي المؤذنون في الصبح بعد الحيعلتين: الصلاة خير من النوم، وأزيل ما كان على أبواب مساجدهم ومشاهدهم وأبوابهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر، ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوتها⁽⁵⁾.

ولما رأى سلطان المغرب (علي بن يوسف بن تاشفين) ملك المرابطين (ت:537هـ) - وكان ورعاً صالحاً معظماً للعلماء - تكاسل الناس عن الحديث والآثار، وقد استحکم في ذهنه أن الكلام بدعة ما عرفها السلف كَتَبَ يتهدد ويأمر بإحراق الفلاسفة، وكَتَبَ يأمر بإحراق كتب أبي

(1) المنتظم (4/14). البداية والنهاية (18/15).

(2) تاريخ بغداد (104/2).

(3) تاريخ الإسلام، حوادث (351هـ-380هـ) ص (114).

(4) المنتظم (62/17). مران الجنان (219/2).

(5) الكامل (193/6). البداية (736/15).

حامد الغزالي ويتوعد من كتمها⁽¹⁾. وكان ظهير الدين (أبو بكر منصور ابن العطار الحراني) (ت: 575هـ) وزير الخليفة العباسي المستضيء بالله نقمةً وعذاباً على الرافضة⁽²⁾.

ولما دخل السلطان (محمود بن سبكتكين) (ت: 421هـ)⁽³⁾ الري قتل الباطنية، ومنع سائر الفرق من الكلام على المنابر، غير أبي حاتم بن حاموش وكان مقدّم أهل السنة بالري، وأمر السلطان من دخل الري من سائر الفرق أن يعرض اعتقاده على أبي حاتم، فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه⁽⁴⁾.

وكان (محمود بن سبكتكين) من خيار الملوك وأعدلهم، وكان من أشد الناس قياماً على أهل البدع لا سيما الرافضة، فإنه أمر بلعنهم ولعنة أمثالهم في بلاده، وكان الحاكم العبيدي بمصر كتب إليه يدعوه، فأحرق كتابه على رأس رسوله، ونصر أهل السنة نصراً معروفاً عنه⁽⁵⁾.

فإن قلت: ولم كان موقف الولاة والخلفاء من الانحراف والمنحرفين صارماً وقوياً؟ فذاك لأن ظهور الانحراف سبب للفرقة والخلاف، وطريق للفتن والقتال، وسبيل لمنازعة السلطة ومنازلة السلطان، والسياسة والحصافة تقضي بالمحافظة على الدولة مما يقوض أركانها أو يهدم بنيانها، ولا يكون ذلك إلا بالحزم والضبط وفرض السلطنة.

وفي زماننا كان للملك عبدالعزيز آل سعود (ت: 1373هـ) جهوده في نشر السنة وقمع البدعة ومواجهة الانحراف، فقد قضى على كل مظاهر الشرك والبدع بهدم الأضرحة والقباب المقامة على القبور في زمانه.

فقد أمر بهدم القباب المبنية على القبور في مكة المكرمة بعد دخولها كالقبة المبنية على قبر خديجة في الحجون، وقبة قبر ميمونة في طريق النورية، وغيرها⁽⁶⁾.

(1) السير (124/20).

(2) السير (84/21).

(3) قال شيخ الإسلام: (ولما كانت مملكة محمود سبكتكين من أحسن ممالك بني جنسه كان الإسلام والسنة في مملكته أعز، فإنه غزا المشركين من أهل الهند ونشر من العدل ما لم ينشره مثله، فكانت السنة في أيامه ظاهرة والبدع في أيامه مقموعة). مجموع الفتاوى (22/4).

(4) تاريخ الإسلام، حوادث (481-490هـ) ص (58).

(5) منهاج السنة (3/429-430).

(6) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، ص (66-67).

ولما دخل جدة أمر بهدم القبة المنسوبة لحواء، وقبة قبر الشيخ العلوية، القريب من باب مكة، وضريح الشيخ أبو سرير في آخر سوق نداء، وقبر الشيخ أبو حنة، ومقام الشيخ أبو عنبه، وقبر الإمام الشهير المعروف بالمظلوم، كما أمر بإغلاق الزوايا المنسوبة للطرق الصوفية⁽¹⁾.

كما أنه حرص على هدم القباب المبنية على قبور بعض الصحابة وغيرهم في البقيع في المدينة المنورة، وكذا القبة المبنية على قبر عبدالله بن السمار في نجران. كما أمر بهدم صنم ذي الخلصة في منطقة تبالة قرب بيشة، وكنل بسدنتها وتوعدهم بالقتل إذا عادوا لبنائها⁽²⁾.

وأصدر رحمه الله أمره بمنع سب الصحابة في مناطق الرافضة، كما منع الذكر الجماعي بعد الصلوات⁽³⁾.

وبالجملة فإن الملك عبدالعزيز نشر مذهب السلف ليس في الجزيرة العربية وحدها بل في العالم الإسلامي كله وذلك بطباعة الكتب ونشرها وبعث الدعاة وإرسالها.

ومن الولاة الذين كان لهم جهودهم في مواجهة الانحراف الملك فيصل بن عبدالعزيز (ت: 1395هـ) رحمه الله، فقد انتشرت في زمانه المذاهب الفكرية المنحرفة كالقومية والشيوعية والبعثية... فواجهها رحمه الله في بلاده بقوة وحزم وتمكن على الرغم من قوتها من دحرها وهزيمتها.. وتجاوزت جهوده رحمه الله إلى مواجهة تلك المذاهب على مستوى العالم الإسلامي إذ تبني فكرة الدعوة إلى التضامن الإسلامي ورفع لواء الإسلام والدعوة الإسلامية لمواجهة للقومية العربية.. وأقام في سبيل ذلك المؤتمرات وأنشأ الجامعات وبث الإذاعات وبذل جهوداً عظيمة في سبيل ذلك.

ومن الولاة الذين كان لهم جهودهم في مواجهة الانحراف الملك فهد بن عبدالعزيز (ت: 1426هـ) رحمه الله فقد كان لحزمه وقوته أثر واضح في قمع البدعة وواد الانحراف ولم يكن أحد في زمانه يجرأ على إظهار المخالفة والإعلان بالبدعة. كما كانت له جهوده العظيمة في الدعوة إلى مذهب السلف الصالح في العالم الإسلامي.

(1) أعلام الحجاز، محمد المغربي (181-184/3).

(2) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، ص (71-72).

(3) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، ص (73).

رابعاً: ضبط الفتوى ومنع المتلاعبين بها.

ينبغي لإمام المسلمين أن يتصفح أحوال المفتين، فمن كان يصلح للفتوى أقره عليها، ومن لم يكن من أهلها منعه منها وتقدم إليه بأن لا يتعرض لها وأوعده بالعقوبة إن لم ينته عنها، وقد كان الخلفاء من بني أمية ينصبون للفتوى بمكة في أيام الموسم قوماً يعينونهم، ويأمرون بأن لا يستفتى غيرهم.

والطريق للإمام إلى معرفة حال من يريد نصبه للفتوى أن يسأل عنه أهل العلم في وقته، والمشهورين من فقهاء عصره، ويعول على ما يخبرونه من أمره⁽¹⁾.

قال ربيعة بن عبد الرحمن (ت: 136هـ) شيخ الإمام مالك: ولبعض من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السراق⁽²⁾.

وفي زماننا: كان العلماء يمنعون من ليس من أهل الفتوى من التصدر لها، ويذكر في هذا المقام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت: 1389هـ) الذي كان يمنع المتطاولين ويؤدب المتجاوزين، جاء في كتاب له لأحد المتصدرين للفتيا ممن ليس من أهلها: (الداعي إلى الكتابة لكم أنه تكرر منكم تدخلكم فيما أنتم في غنى عنه فضلاً عما فيه من التنافي مع ما يقتضيه التقى والورع من وجوب استبراء العبد لدينه وعرضه، وذلك رأيكم في التصديق للعامة بإفتائهم في مسائل الطلاق بما هو عليه خلاف ما عليه الفتوى وما اشتهر القول به لدى جمهور العلماء، ومرجوحيته ظاهرة لدى المحققين من أهل العلم.

فنأمل منك بارك الله فيك الكف عن إرباك العامة بفتاوى شاذة أو مرجوحة، ومتى تقدم إليك من يطلب الفتوى فعليك بالإشارة لهم إلى الجهة المختصة بالفتاوى، ونرجو أن يكون لديك من أسباب احترامك لنفسك ما يغنينا عن إجراء ما يوقفك عند حدك⁽³⁾.

ولما أعلن (عادل الكلباني) جواز الغناء رد عليه وأبطل قوله سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ صالح الفوزان.

(1) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي (324/2).

(2) بدائع الفوائد (1287/3).

(3) فتاوى محمد بن إبراهيم (36/11).

خامساً: المحافظة على مراسم العلم الشرعي.

من سبل مواجهة الانحراف المحافظة على مراسم العلم الشرعي، والمحافظة على مراسم العلم الشرعي تكون بالمحافظة على معاهده ومدارسه ومناهجه حتى يكون صافياً لا يكدره الدخلاء ونقياً لا يعكره الأذعياء.

وعندما نتحدث عن القيام بالفضائل ورعاية الواجب وتحمل المسؤولية فإننا سنجد شواهد حاضرة في شخصية الإمام محمد بن إبراهيم (ت:1389هـ) الذي حافظ على مراسم العلم الشرعي في زمانه حتى امتدت بركته إلى زماننا.

حافظ الشيخ محمد بن إبراهيم على مراسم العلم الشرعي لما تصدى للتدريس في مسجده وفق منهجية محددة تخرج على يديه علماء أجلاء، أسندت إلى بعضهم مسؤوليات الجهات الدينية: الإفتاء، الجامعة الإسلامية، القضاء، تعليم البنات، الهيئات وكانت سيرتهم محمودة وطريقتهم مرضية رحم الله الأموات ومتع بالأحياء متاعاً حسناً.

حافظ الشيخ محمد بن إبراهيم على مراسم العلم الشرعي لما افتتح المعاهد والجامعات وأسند مسؤوليتها إلى الأكفاء والأمناء من تلاميذه.

ولما أثار المغرضون في وقته زوبعة عن المعاهد العلمية فطالبوا بضمها إلى وزارة المعارف كان لهذا الإمام موقف حازم في وأد هذه الزوبعة والمحافظة على هذه المعاهد.

وعلى الرغم من انتشار المذاهب المنحرفة والتيارات الإلحادية وضعف التدين في زمانه إلا أنه رحمه الله رحمة واسعة استطاع أن يجاوز بتوفيق الله وفضله مراسم العلم الشرعي إلى بر الأمان وأن يحافظ عليه من الامتهان.

ولذا فاختراق مراسم العلم الشرعي ومناهجه ومعاهده بوابة الانحراف ونافذة لزلزلة الأمن الفكري والعقدي في المجتمع. ويكون ذلك بأن يقوم على المعاهد والجامعات من غير الأمناء والأكفاء فيسيروا بها سيرة غير مرضية فتفقد هيبتها وتضعف مكانتها وتصبح خاوية من المعاني وإن كانت عظيمة المباني!!

ويكون ذلك بمزاحمة علوم الطب والهندسة وغيرها لعلوم الشريعة بإنشاء كليات لها في الجامعات الشرعية فيكون الاهتمام بها ويقابله ضعف

كليات الشريعة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى ما وصلت إليه في دول سبقت إلى مثل هذا العمل.

لقد درَسْتُ في الأزهر ما يقرب من عشر سنوات فعاشت ورأيت تأثير مزاحمة علوم الطب والهندسة لعلوم الشريعة، إذ أضحت كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ضعيفة في مبانيها ومخرجاتها وطلابها وأساتذتها.

وحذّر الشيخ العلامة (عبد المحسن بن حمد العباد البدر) من إنشاء كليات دنيوية تزام كليات الشريعة في الجامعة الإسلامية مما يؤدي إلى إضعافها، في بيان له بعنوان: (من نكرياتي عن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بعد مرور نصف قرن على إنشائها)..

كما نشرت الصحافة المحلية بتاريخ (1429/7/7هـ) مقالاً لمعالى الشيخ (صالح بن فوزان الفوزان) بعنوان: (لماذا يفتح في الجامعات الإسلامية كليات مدنية، ولا يفتح في الجامعات المدنية كليات شرعية) استنكر فيه إنشاء كليات للطب والهندسة في الجامعات الشرعية.

وإنى أناشد الغيورين على علوم الشريعة وأطالب حراس الأمن الفكري أن يبادروا إلى إيقاف هذه الخطوة غير السديدة حماية لبناء العلم الشرعي أن يقوّض وسيواجه أن يهدم، فتتفد حينئذ الأفكار والتيارات والمذاهب المنحرفة.

ويكون اختراق مراسم العلم الشرعي بإضعاف مناهجه ومواده بأن تصبح أوراقاً ومذكرات يحفظها الطالب ثم يرمي بها عند قاعة الامتحان.. ويتعد عن الكتاب التأصيلي والمنهجي فيجهل لغة العلم وطريقة العلماء ويستوحش من القراءة فيها.

أو تقرر عليه مواد الكيمياء والفيزياء... وتخفض أنصبة العلوم الشرعية أو يستبعد بعضها!! ولعلك تتساءل ما حاجة القاضي الشرعي أو مدرس العلوم الشرعية إلى دراسة الكيمياء والفيزياء!!؟

أو يُبتعث طلابها لدراسة علوم الشريعة واللغة العربية في جامعات الغرب ومعاهده!!

إن الأمن الفكري لا يمكن أن يتحقق إلا إذا جرى المحافظة على مراسم العلم الشرعي ومعاهده ومناهجه(1).

(1) كتبت عدة مقالات حول تراجع الجامعات والمعاهد الشرعية علمياً ودعويّاً وإدارياً، منشورة على الشبكة العالمية منها:

فإن قلت: وهل للمحافظة على مراسم العلم الشرعي ومعاهده ومناهجه علاقة بلجم الانحراف الفكري والعقدي؟ فأقول: إن من أعظم أسباب تحقيق الأمن الفكري والعقدي حفظ مراسم العلم الشرعي ومعاهده ومناهجه.

وهل هذا الكلام مرسل من غير حجة، ومطلق من غير برهان؟ كلا بل دلّ عليه واقع العالم الإسلامي، لما أسندت الجهات الشرعية ومعاهدها وجامعاتها إلى غير الأكفاء في تلك البلاد.. زهد الناس فيها وأعرضوا عنها وذهبوا يبحثون عن مرجعيات يثقون بها ويرونها أهلاً فانتشرت المذاهب وفشت النيارات وغلبت التوجهات..

وإذا انتقضت عرى التعليم الشرعي وأضعفت جامعاته ومعاهده تحت دعاوى التطوير أو التحديث... فسيرى الناس بعد زمن لن يكون بعيداً كيف ستكون تلك الجامعات والمعاهد مسرحاً للأفكار والتوجهات المنحرفة.

=
- مقال بعنوان: (الأثار السيئة لخلع باب الجامعة الإسلامية بالمدينة في عهدنا الجديد)، للشيخ العلامة عبدالمحسن العباد البدر.

الخاتمة

النتائج:

- 1- يعظم الانحراف، وتنتشر البدعة، وينتشي المبتدعة، إذا سكت علماء السنة عن بيان الحق ورد الباطل وتحذير المجتمع منه.
- 2- إذا ضعف سلطان الشريعة سيظهر الإلحاد والجهر به وسيكون في الأمة من يدعي الألوهية أو النبوة أو المهديّة أو دعوة مخلطة لا عنوان لها.
- 3- من أعظم أسباب الضلال الإعراض عن الوحي والتولي عن سبيل المؤمنين.
- 4- ضلّ من ضل في القديم والحديث بسبب الأخذ عن الفلاسفة والاطلاع على كتبهم.
- 5- إحياء تراث الفلاسفة: درساً وقراءةً .. دعوة ضالة تستهدف التشكيك في العقيدة وصرّف الناس عن الوحي.
- 6- نأى السلف الصالح بأنفسهم عن الفتن وتباعدوا عن أهلها ومواطنها طلباً للسلامة.
- 7- من أسباب الانحراف: ترك الصبر المأمور به عند فشو المنكر أو حصول الاستنثار بالمال.
- 8- عرّض أناس أنفسهم للفتنة بالعزل أو الحبس فلم يصبروا فارتدوا على أدبارهم ونكصوا على أعقابهم، ففيهم عبرة بأن السلامة لا يعدلها شيء.
- 9- يُفتن الصغار في الغالب إذا تصدوا للتدريس أو الفتيا أو الكلام في الشأن العام.
- 10- ضَعَفَ اليقين عند أقوام فانبهروا بالجديد من الكتب أو الشخصيات أو الاحوال عند السفر والترحال فاستنكروا ما كانوا عليه من العقائد

- القومية والسلوك والأحوال السقيمة.
- 11- ظهر لي أن هناك توجهاً قوياً يسعى إلى تقويض الأصول التي قامت عليها الدعوة السلفية: تصديراً للمبتدعة، وتهويناً من شأن البدع، وتنقصاً من علماء أهل السنة، مستخدمين دعوى وجود الخلاف، والحرص على جمع كلمة المسلمين.
- 12- لا تغتر بما عليه المبتدعة والمنحرفون من الذكاء أو البلاغة أو التنسك والزهادة فإن رؤوس المبتدعة في القديم كانوا كذلك.
- 13- صارت الأمور في عصرنا أشد تعقيداً، وأكثر التباساً.. فكثرت الرايات وتعددت الشعارات، فانخدع بها المغفلون، وانطلت على السذج، وسار خلفها الدهماء فأوردتهم المهالك ومواطن الفتنة فجنوا على أنفسهم وعلى أديانهم أعظم جناية.
- 14- تكفل مجموعة المنتكسين وسموا أنفسهم بالتتويرين وهم في الحقيقة ظلاميون، وهؤلاء يدورون حول قضايا معينة: دعوة والتزاماً، هي: التحامل على العلماء بوصفهم تقليديين جامدين، البراءة من التيار السلفي، الحديث عن قضايا المرأة بضعف وانهازامية، ملاينة أهل البدع، الانفتاح على المنافقين، رفع شعارات: (الحرية، احترام الرأي الآخر، الحوار..). وهؤلاء الظلاميون امتداد لمدرسة الإخوان في جوانب كثيرة تجدها واضحة في كتاباتهم ومقالاتهم ومقابلاتهم.
- 15- ظهرت مصطلحات: التعددية، الوصاية، النهضة، الحرية، الإصلاح الديني... وروج لها المنافقون والمبتدعة لأنها تمكنهم من الدعوة لانحرافهم وتحميهم من الاحتساب والانكار... وانجرف في الدعوة لهذه المصطلحات بعض المنتسبين للدعوة جهلاً أو عمداً، فالجاهل لا يدرك حقيقته ومضمونه وآثاره، والعامد يرى فيه نافذة لنشر فكره الجديد الذي يبشر به.
- 16- من صفات طالب العلم المحافظة على الفرائض والتزام العبادة والإقبال على التعبد.. وضعف التعبد علامة سوء وبوابة انحراف وسبيل للخذلان.. وعرف المنحرفون في القديم والحديث بالتساهل في الفرائض وهجر المساجد وتعطيل الجماعات.
- 17- من أسباب الانحراف: فساد النية وسوء القصد، وعلامته: طلب العلم للرياسة والمنصب وقصد العلو في الأرض. وغياب السمات والهدي الصالح وأخلاق النبوة عن أهله.
- 18- يكثر القراء في آخر الزمان لا أكثرهم الله فتعظم فتنهم: دعوة للباطل، وتليبساً للحق، ومناصرةً لأهل الباطل، ونكايَةً بأهل العلم.
- 19- طالب العلم يكون متواضعاً متطامناً، مخبتاً وجلاً، يبذل علمه

وينشر دعوته، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، صاحب عبادة وتأهله، ينفع الناس ويحب الخير لهم، سليم الصدر مخوم القلب، ورعاً متعافياً.

- 20- من طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والخيلاء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب، ومقتته الأنفس.
- 21- كان السلف يتحرون السلامة وينشدون النجاة ويقفون عند حدود ما علموا، ولم يكن أحدهم يجد غضاضة في قول: لا أعلم، ولا أدري. وتصدّرُ الفتيا والمسارعة إليها من صور طلب الشرف في الدنيا ولهذا كره السلف الصالح الجراءة على الفتيا والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها.
- 22- المتسابقون إلى الفتوى والمسارعون إليها يحرمون التوفيق، ولذا صدرت من بعضهم فتاوى تخالف النصوص الصريحة أو الإجماع.
- 23- من أسباب وقوع بعض المفتين في الغلط دعوى أنهم مجتهدون وأن لهم النظر في الأدلة والترجيح بينها ولذا وقعوا في مخالفة المتقدمين. وقلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا ممن أدخل نفسه في أهل الاجتهاد غلطاً أو مغالطة.
- 24- تقوم الفتوى عند بعض المتصدرين لها على تقديم الاستحسان أو المصلحة المتوهمة أو مسايرة الواقع على النص الشرعي. وهؤلاء امتداد للمدرسة المصرية (مدرسة العقل أو الرأي) التي تجد معالمها واضحة في كتب وفتاوي محمد الغزالي ويوسف القرضاوي.
- 25- من أسباب الانحراف تطلب الرياضات والبحث عن المكانة والعلو في الأرض. وذلك أن الرياضات إن لم تحصل بقي القلب منشغلاً بها، فيندفع صاحبها إلى التملق والتزلف طلباً لها، وربما باع دينه لأجلها، فإن لم يتحصل عليها مات كمدماً وقضى غيظاً وحنقاً، وإن حصل عليها -بعد تطلب واستشراق- لم يعن عليها ووكل إلى نفسه فكانت سيرته فيها غير مرضية.
- 26- يشهد التاريخ أن المتعلقين بالرياضات تتغير عليهم الأحوال وتقلب بهم الأيام وتنزل بهم الدوائر خاصة إذا كانوا غير محمودي السيرة.. معهم ظلم وسوء وفساد.
- 27- يدعي بعض طلاب العلم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم وإحسان ظنهم بهم وكثرة أتباعهم، والتعاضم بذلك على الناس.. فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على

- أحد.
- 28- يشرع للعالم الدخول على السلطان أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر أو واعظاً ومذكراً إن كان قادراً على ذلك مع أمن الفتنة. أما الدخول لغير هذا المقصد فلم يكن من منهج السلف ولا عملهم. بل عظم تحذيرهم واشتد نكيرهم على من فعل ذلك.
- 29- من علامات أهل البدعة والفرقة والنفاق أنهم يصنفون لأهل المال من الملوك والوزراء وغير ذلك، ويتقربون إليهم بالتصنيف فيما يوافقهم.
- 30- من المرء المنهي عنه ما يجري في المنتديات والمطارات من مناقشات للتغلب على الخصم وإظهار الحجة من غير قصد الحق وبيانه، ومن ضلّ في زماننا عُرف بكثرة المرء والجدال على هذا الوجه.
- 31- من أسباب الانحراف الغرور والإعجاب بالنفس، وعلامته النيل من العلماء ولمز الكبار، وهذا شأن المنحرفين في القديم كما هو شأنهم في الحديث.
- 32- اتفق المنحرفون من المنافقين والظالميين وسائر أهل الأهواء على التعرض لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ودعوته التجديدية خاصة في السنوات الأخيرة في اجتماع مريب واتفاق مشبوه!!!
- 33- من أسباب الانحراف مصاحبة أهل البدع والتلقي عنهم، وقد اغترت الناشئة ببعض هؤلاء فضلوا عن سواء السبيل.
- 34- يعجب المرء كيف تفتح الجامعات والقنوات والصحف للمبتدعة وأهل الأهواء!! في حين أنه لا يمكن لأي سلفي أن يخترق حصون المبتدعة وقلاعهم!!
- 35- يأسف الموحد عندما يرى عدداً من الدعاة يزرون الرافضة والصوفية والمنافقين ويجالسونهم ويتخذونهم أصحاباً وأخدانا، ويداهنونهم تقرباً وتودداً.
- 36- تحمل قناة دليل توجهاً يوجب التنبيه والتحذير يتمثل في أن القناة نافذة لأهل الأهواء والبدع: ترويحاً لبدعتهم، وإزالةً للوحشة منهم.
- 37- يعمل الشيخ الددو من خلال برامجهم وفتاواه على تقويض قواعد أهل السنة في التعامل مع أهل الأهواء والبدع.
- 38- إذا ظهر أهل البدع وجاهاً وبدعتهم وصاحب ذلك تقرب الخلفاء لهم ووقربهم منهم انتشر الانحراف في الأمة وإذا كان أهل البدع أمراء ووزراء وقضاة.. عظمت فتنتهم وامتد أثرهم في الناس.
- 39- ثبت من خلال التتبع والاستقراء أن المبتدعة والمنحرفين لهم أثر

- وتأثير في زرع المناهج الدعوية الوافدة كمنهج الإخوان المسلمين وزرع المذاهب البدعية كالمذهب الأشعري الصوفي.
- 40- فتح الشيطان على المنحرفين الأخذ بالرخص شيئاً فشيئاً حتى تركوا الدين وانسلخوا منه. ولذا حذر السلف رحمهم الله غاية التحذير من الأخذ بالرخص وتتبع زلات العلماء.
- 41- من آثار الانحراف على الفرد: التخبط والقلق، الشك والارتياب، النكوص على العقبين، الخيبة والحرمان، الذل والهوان، التلون والتنقل، الإلحاد.
- 42- من آثار الانحراف على عموم الأمة: وقوع الفتن والقتل، التفرق والاختلاف، سقوط الدول وزوال الممالك، تسليط الأعداء، فساد الزمان وتغير الأحوال.
- 43- الانحراف بأنواعه يهدد الأمن الفكري ويقوض بناءه وينشر الفوضى العامة في المجتمع.
- 44- لا يصح التفريق بين أنواع الانحراف فيقبل منه نوع ويرد منه أنواع، أو يواجه صنف ويترك صنف آخر، لأن الانحراف كل لا يتجزأ وبعضه يتولد من بعض ولذا لا يمكن تحقيق الأمن الفكري إلا بمواجهة الانحراف بأنواعه كلها.
- 45- موانع الانحراف عند الناس: الدين والعقل والسلطان. فمن الناس من يمنعه دينه، ومنهم من يمنعه عقله، ومنهم من لا دين ولا عقل، فلا بد من سوط السلطان لمنعه.

التوصيات:

- 1- يجب على من بسط الله يده القيام بالواجب في حماية الشريعة والذب عنها ومنع المنحرفين من الدعوة إلى انحرافهم ونشره في الناس.
- 2- يجب على الولايات الدينية تتبع نشاطات المنحرفين من المبتدعة وغيرهم والاحتساب عليهم.
- 3- يجب على الأغيار من حملة الشريعة بيان الحق، والرد على المخالفين، والتشجيع على المبتدعة: حمايةً للشريعة، وقياماً بالوجب، ونصيحةً للمسلمين.
- 4- يجب تقرير مادة في آداب طلب العلم وحلية طلابه في الجامعات والمعاهد الشرعية حتى لا يكون العلم عرياً عن الأخلاق مجرداً من الآداب.
- 5- يجب المحافظة على مراسم العلم الشرعي ومعاهده وجامعاته وإسنادها إلى الأمناء من أهل العلم والدين وحمايتها من الضعف والإضعاف حتى لا تخترق من أهل الأهواء، أو يكون المتخرجون منها خواء لا يستفاد منهم في تثبيت السنة والذب عنها.
- 6- يجب على العلماء استشعار مسئوليتهم والقيام بواجبهم ببيان الحق وعدم تأخيره عن وقت الحاجة.
- 7- يجب على أهل العلم التصدي للتدريس والإفتاء وإعداد الطلاب المؤهلين لقطع الطريق على الأعداء.
- 8- توجيه طلاب الدراسات العليا لدراسة الاتجاهات الفكرية المعاصرة تمثلها شخصيات في كتبها وبرامجها ومقالاتها.. وكذا دراسة اتجاهات بعض القنوات الفضائية ليكون في ذلك مواجهةً للانحراف وتحذيراً منه.
- 9- توجيه طلاب الدراسات العليا لدراسة تأثير المبتدعة والمنحرفين من الوافدين ونوافذ ذلك ومظاهره.
- 10- يجب على من يتولى التدريس والإفادة أن يكون قدوة لطلابه: تواضعاً وتنسكاً وجمعاً بين العلم والعمل.
- 11- يتعين منع وسائل الإعلام من استكتاب المبتدعة أو استضافتهم أو تقديمهم حمايةً للمجتمع من شرهم.
- 12- إذا التمس الحق بالباطل، ولم يتبين الحق والصواب، وماجت الفتن بأهلها فأقبل على نفسك، والزم جادة الراغبين في السلامة: عزلةً وصمتاً.
- 13- إياك أن تتخدد بما يرفع من رايات، والزم الجماعة، واتبع أهل العلم

الراسخين فيه، فإنه لا يتورط مع أصحاب تلك الرايات إلا الهمج والرعاع.

14- احذر من الانتساب للجماعات والأحزاب التي تجعل نفسها محوراً للولاء والبراء وقاعدةً للانطلاق وقبلهً للقصد والتوجه فإن هذا يعارض أصل التكليف ويناقض مقتضيات الإيمان.

15- يتعين حماية البلاد من تأثير المبتدعة الوافدين ومنعهم من الدعوة إلى باطلهم والاستغناء عنهم في الجامعات خاصة.

والنصيحة لمن أراد النجاة أن يقبل على نفسه، فيزكيها بالعبادة، ويحليها بالعلم، ويزينها بالعمل، ويحذر من التعلق بالمال أو الرياسة، ويخلص القصد، ويجرد النية، ويرتقي في كمالات التأله، مع اللهج بسؤال الله الثبات حتى الممات.

ولنعلم أن التاريخ لا يجامل أحداً، فمن الناس من تدركه رحمة ربه فيسدل عليه ستره، ويرفع له ذكره، ويكون له لسان صدق في الآخرين، وآخر يحرم الرحمة فيُهتك ستره، وتُذكر معايبه، وتُشهر مثالبه. فاللهم رحماك.

فهرس المصادر والمراجع

- 1- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ابن بطة العكبري، ت: غسان معطي، دار الراية، الرياض، ط 2، 1415هـ.
- 2- ابن تيمية الذي افترى عليه الوهابيون، أحمد السايح، دار الأشراف، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- 3- أحاديث في نم الكلام وأهله، أبو الفضل المقرئ، ت: ناصر الجديع، دار أطلس، الرياض، ط 1، 1417هـ.
- 4- الاحتساب المدني، الدكتور محمد عبدالكريم، الشبكة العربية للنشر، بيروت، ط 1، 1411هـ.
- 5- أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ت: يوسف البكري وشاكر العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط 1، 1418هـ.
- 6- الاختلاط بين الجنسين في الميزان، خالد السبت، دار المنهاج، الرياض، ط 1، 1432هـ.
- 7- الآداب الشرعية، ابن مفلح، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1421هـ.
- 8- آداب طالب العلم، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط 1، 1408هـ.
- 9- أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 1، 1415هـ.
- 10- إرسال الشواظ على من تتبع الشواذ، صالح الشهراني، دار المنهاج، الرياض، ط 1، 1428هـ.
- 11- الإرهاب في جزيرة العرب، إسحاق يعقوب، دار الفارابي، بيروت، ط 1، 2008م.
- 12- الإرهاب... مفهومه، أشكاله، صورته، عبدالحليم بلال وعبدالله

- البكري، ط1، 1430هـ.
- 13- الإستقامة، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الهدي النبوي، مصر، ط1، 1420هـ.
- 14- الاستيعاب فيما قيل في الحجاب، فريح البهلال، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1، 1427هـ.
- 15- الأسطورة والتراث، سيد محمود القمني، سينا للنشر، القاهرة، ط2، 1993م.
- 16- الإسلام والمرأة، أحمد زكي يماني، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1425هـ.
- 17- الإسلاميون سجل الهوية والنهضة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2008م.
- 18- أسماء القاتلين بوجوب ستر الوجه من غير النجديين، سليمان الخراشي، دار القاسم، الرياض، ط1، 1427هـ.
- 19- أشواق الحرية، نواف القديمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2009م.
- 20- إصلاح الفكر الديني أولاً، يعقوب محمد إسحاق، من غير ناشر، ط1، 2006م.
- 21- الاعتصام، الشاطبي، ت: هشام الصيني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1429هـ.
- 22- أعلام الحجاز، محمد علي المغربي، مطبعة المدني، المدينة المنورة، ط1، 1410هـ.
- 23- إلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت: مشهور سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1423هـ.
- 24- إلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت: مشهور سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1423هـ.
- 25- إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ت: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1432هـ.
- 26- اغتيال العقل، برهان غليون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط5، 2009م.
- 27- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، ت: ناصر العقل، دار العاصمة، الرياض، ط6، 1419هـ.
- 28- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن الفراء، ت: محمد الشنيطي، دار البخاري، المدينة المنورة، ط1، 1418هـ.
- 29- الانحرافات العقدية والعلمية، علي الزهراني، دار طيبة، مكة

- المكرمة، ط2، 1418هـ.
- 30- الانفتاح الفكري، عبدالرحيم السلمي، مركز التأصيل، جدة، ط1، 1432هـ.
- 31- أيام الإرهاب في السعودية، يحيى الأمير، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط، 2007م.
- 32- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ت: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1425هـ.
- 33- البداية والنهاية، ابن كثير، ت: عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1419هـ.
- 34- البدع والنهي عنها، ابن وضاح، عمرو سليم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط1، 1416هـ.
- 35- براءة أهل السنة من الوقعة في علماء الأمة، بكر أبو زيد، من غير ناشر، ط2، 1408هـ.
- 36- البليهي في حوارات الفكر والثقافة، عبدالله المطيري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008م.
- 37- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، ت: كولان و ليفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009م.
- 38- بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، جمع: محمد بن قاسم، دار القاسم، الرياض، ط2، 1421هـ.
- 39- بيت الخبرة للشباب والبنات، علي العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ.
- 40- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ت: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1414هـ.
- 41- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ت: يوسف البكري، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2010م.
- 42- تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1408هـ.
- 43- تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، ت: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ.
- 44- تتبع الرخص بين الفقه والواقع، عبد اللطيف التويجري، البيان، ط1، 1432هـ.
- 45- التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه، فتاوى صدرت من اللجنة الدائمة للإفتاء، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1،

- 1421هـ.
- 46- تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1412هـ.
- 47- تحريم الاختلاط والرد على من أباحه، عبدالعزيز البداح، من غير ناشر، ط2، 1432هـ.
- 48- تحريم النظر في كتب الكلام، ابن قدامة المقدسي، ت: عبدالرحمن دمشقية، عالم الكتب، الرياض، ط1، 1410هـ.
- 49- التحولات الفكرية، حسين الأسمرى، مركز التأصيل، جدة، ط1، 1432هـ.
- 50- تذكرة الحفاظ، الذهبي، ت: عبدالرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 51- التراث والتجديد، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط5، 1422هـ.
- 52- التراث والحداثة، محمد عبد الجابري، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1991م.
- 53- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 54- الترغيب والترهيب، المنذري، ت: محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ.
- 55- التعامل وأثره على الفكر والكتاب، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408هـ.
- 56- التعددية والحرية في الإسلام، حسن الصفار، دار المنهل، بيروت، ط2، 1416هـ.
- 57- تغطية العالم بدعة الإلزام بتغطية الوجه، أحمد عطيف، مدارك، بيروت، ط1، 2001م.
- 58- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط1، 1418هـ.
- 59- تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام، يعقوب إسحاق، بيسان للنشر، بيروت، ط1، 2009م.
- 60- تلبيس إبليس، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، دار القلم، بيروت، ط1، 1403هـ.
- 61- تنبيهات في الحج على الكتابة المسماة (افعل ولا حرج)، عبدالمحسن البدر، دار التوحيد، الرياض، ط2، 1429هـ.
- 62- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن بن يحيى

- المعلمي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 1406هـ.
- 63- **ثقافة التطرف والبديل عنها**، حمزة المزيني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008م.
- 64- **جامع الترمذي**، الترمذي، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط1، 1420هـ.
- 65- **جامع الرسائل**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط1، 1422هـ.
- 66- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، ابن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرنؤوط، من غير ناشر، ط1، 1424هـ.
- 67- **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1414هـ.
- 68- **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ.
- 69- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، الخطيب البغدادي، ت: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ.
- 70- **الجديد في فقه الجهاد**، علي العمري، الأمة للنشر، ط1، 1432هـ.
- 71- **الجواب الكافي**، ابن قيم الجوزية، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1422هـ.
- 72- **جواز صلاة الرجل في بيته**، خالد الغنامي، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2007م.
- 73- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، قوام السنة الأصبهاني، ت: محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، ط1، 1414هـ.
- 74- **الحدائث والنص والإصلاح الديني**، بدر الراشد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2009م.
- 75- **حركة التشيع في الخليج العربي**، عبدالعزيز البداح، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، ط1، 1431هـ.
- 76- **حركة التغريب في السعودية**، تغريب المرأة أنموذجاً، عبدالعزيز البداح، مصر، ط1، 1431هـ.
- 77- **حصون التخلف**، إبراهيم البليهي، الجمل للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010م.
- 78- **حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية**، بكر أبو

- زيد، مطابع الدرعية، 1410هـ.
- 79- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصفهاني، ت: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 80- **الحوادث والبدع**، الطرطوشي، ت: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1410هـ.
- 81- **خصائص جزيرة العرب**، بكر أبوزيد، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، 1420هـ.
- 82- **داعية وليس نبيا**، حسن فرحان المالكي، دار الرازي، مركز الدراسات التاريخية، الأردن.
- 83- **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- 84- **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- 85- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، من غير ناشر، ط5، 1413هـ.
- 86- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد سيد جاد الحق، أم القرى للنشر، القاهرة.
- 87- **دنيا الدين في حاضر العرب**، عزيز العظمة، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2002م.
- 88- **ذكريات شاب**، علي العمري، الأمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1432هـ.
- 89- **ثم الكلام وأهله**، أبو إسماعيل الهروي، ت: عبدالله الأنصاري، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط1، 1419هـ.
- 90- **الذيل على طبقات الحنابلة**، ابن رجب، ت: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1425هـ.
- 91- **رؤية تطويرية للصحة السعودية**، علي العمري، الأمة للنشر، ط1، 1429هـ.
- 92- **الرد الشافي على مفتريات القذافي**، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1402هـ.
- 93- **الرد على المخالف من أصول الإسلام**، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1414هـ.
- 94- **الرد على فكر التكفير عند الوهابية**، أحمد السايح، دار الأشراف الصوفية، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- 95- **الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء**، محمد موسى و

- محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1، 1428هـ.
- 96- رسائل جهيمان العتيبي قائد المقتحمين للمسجد الحرام، رفعت السيد أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2004م.
- 97- رسائل ودراسات في الأهواء والفرق والبدع، الدكتور ناصر العقل، دار الوطن للنشر، الرياض، ط2، 1423هـ.
- 98- رسالة الحجاب، محمد بن عثيمين، دار المجتمع، جدة، ط2، 1407هـ.
- 99- رهانات خطاب الاعتدال والواقع المعاصر، علي آل طالب، الطيف، القطيف، ط1، 1429هـ.
- 100- الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
- 101- الريح القاصف على أهل الغناء والمعازف، نياض بن سعد الغامدي، مكتبة المزيني، الطائف، ط2، 1430هـ.
- 102- زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء، جاسم الدوسري، الدار السلفية، الكويت، ط1، 1409هـ.
- 103- السنة والإصلاح، عبدالله العروي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2008م.
- 104- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط1، 1420هـ.
- 105- سنن أبي داود، أبي داود، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط1، 1420هـ.
- 106- سنن الدارمي، للدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، من غير تاريخ للنشر.
- 107- سنن النسائي، النسائي، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط1، 1420هـ.
- 108- السياسة الشرعية، ابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، 1419هـ.
- 109- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ.
- 110- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ت: أحمد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط3، 1415هـ.
- 111- شرح السنة، البربهاري، ت: محمد القحطاني، دار ابن قيم، الدمام، ط1، 1408هـ.
- 112- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت: عبدالله التركي

- وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ.
- 113- شرح وبيان لحديث ما ذئبان جاعان، ابن رجب، ت:محمد حلاق، مؤسسة الريان، بيروت، ط2، 1417هـ.
- 114- الشريعة، الأجرى، ت:عبدالله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط2، 1420هـ.
- 115- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ.
- 116- صحيح البخاري، البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1419هـ.
- 117- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1419هـ.
- 118- الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، ت: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط2، 1412هـ.
- 119- ضد الحرية أنسنة الخطاب الديني والسياسي، سعود البلوي، طوى للنشر والتوزيع، لندن، ط1، 2009م.
- 120- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ت:عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، هجر للنشر، مصر، ط2، 1413هـ.
- 121- ظاهرة التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب، أنور الخضري، مركز التأصيل، جدة، ط1، 1429هـ.
- 122- عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1414هـ.
- 123- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني، ت:بدر البدر، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط2، 1415هـ.
- 124- عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها، محمد الخميس، الأمانة العامة للاحتفال بالمنوية، الرياض، ط1، 1419هـ.
- 125- العنف والتنمية السياسية في المملكة العربية السعودية، حمزة الحسن وفؤاد إبراهيم، قضايا الخليج، لندن، ط1، 2002م.
- 126- عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، البقاعي، ت: حسن حبشي، دار الكتب القومية، مصر، ط1، 1422هـ.
- 127- عودة الحجاب، محمد المقدم، دار طيبة، الرياض، ط12، 1420هـ.
- 128- الغناء الأحوى في لم طرائف وغرائب الفتوى، أحمد العرفج، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2001م.

- 129- فتاوى ابن الصلاح، أبو عمر بن الصلاح، دار الطباعة المنيرية، مصر، 1348هـ.
- 130- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع: محمد بن قاسم، من غير ناشر، ط2.
- 131- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: نظر الفاريايبي، دار طيبة، الرياض، ط1، 1426هـ.
- 132- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن، ت: عبدالقادر الأرنبوط، مكتبة البيان، بيروت، ط2، 1408هـ.
- 133- الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية، ت: حمد التويجري، دار الصمعي، الرياض، ط1، 1419هـ.
- 134- الفروق، القرافي، ت: علي جمعة و محمد أحمد، دار السلام، القاهرة، ط1، 1421هـ.
- 135- فضل علم السلف على الخلف، ابن الجوزي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط3، 1404هـ.
- 136- الفكر الإسلامي... قراءات ومراجعات، زكي الميلاد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 1999م.
- 137- الفن المعاصر، علي العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1431هـ.
- 138- الفوائد، ابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، من غير تاريخ للنشر.
- 139- قضايا دعوية معاصرة، علي العمري، الأمة للنشر، الرياض، ط1، 1431هـ.
- 140- قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998م.
- 141- القول التمام بإثبات التفويض مذهباً للسلف الكرام، سيف العصري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1430هـ.
- 142- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1414هـ.
- 143- كتاب الأخلاق والسير، ابن حزم، ت: إيفار رياض، دار ابن حزم، بيروت، ط3، 1430هـ.
- 144- كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الخلال، ت: مشهور سلمان، المكتب الإسلامي، ط1، 1410هـ.
- 145- كتاب الأنساب، السمعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1419هـ.
- 146- كتاب الزهد، عبدالله بن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار

- الكتب العلمية، بيروت، من غير تاريخ للنشر.
- 147- **كتاب السنة**، ابن أبي عاصم، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1413هـ.
- 148- **كتاب العلم**، أبو خيثمة النسئي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1421هـ.
- 149- **كتاب الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغدادي، ت: عادل عزازي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1417هـ.
- 150- **كيف نفهم التيسير؟ وقفات مع كتاب (افعل ولا حرج)**، فهد أبا حسين، دار المحدث، الرياض، ط1، 1428هـ.
- 151- **لسان الميزان**، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- 152- **لمعة الاعتقاد الهادي لسبيل الرشاد**، ابن قدامة، ت: بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط1، 1416هـ.
- 153- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**، السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1411هـ.
- 154- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو بكر الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1352هـ.
- 155- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية**، جمع: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، توزيع شؤون الحرمين الشريفين.
- 156- **مجموع فتاوى ورسائل**، علوي المالكي الحسني، جمع: محمد بن علوي المالكي، مطابع الرشيد، المدينة، ط1، 1413هـ.
- 157- **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، عبدالعزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، دار القاسم، الرياض، ط1، 1420هـ.
- 158- **المحافظون والإصلاحيون**، نواف القديمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2011م.
- 159- **المدارس الأجنبية في الخليج**، عبدالعزيز البداح، من غير ناشر، ط1، 1429هـ.
- 160- **مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات**، أحمد القاضي، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1416هـ.
- 161- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، اليافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.
- 162- **المرأة المسلمة بين إنصاف الدين وفهم المغالين**، محمد الرشيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2011م.
- 163- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، المسعودي، ت: محمد عبدالحميد، كتاب التحرير، 1386هـ.

- 164- مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية إسحاق، دار التأصيل، المنصورة، ط3، 1429هـ.
- 165- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، من غير تاريخ للنشر.
- 166- مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ.
- 167- مشاهد من المقاصد، عبدالله بن بيه، الإسلام اليوم، الرياض، ط1، 1431هـ.
- 168- مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، ت: عبدالرحمن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1432هـ.
- 169- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبي العباس القرطبي، ت: محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، بيروت، ط2، 1420هـ.
- 170- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ت: محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 1420هـ.
- 171- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ت: مجموعة من العلماء، مطبعة مصطفى محمد، مصر.
- 172- الملل والنحل، الشهرستاني، ت: عبدالأمير مهنا و علي فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1410هـ.
- 173- من النقل إلى العقل، حسن حنفي، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط1، 1430هـ.
- 174- مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- 175- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت: محمد عطا وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1312هـ.
- 176- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ.
- 177- منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، ابن الجوزي، ت: كامل الخراط، دار التوفيق، سورية، ط1، 1432هـ.
- 178- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان بن حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1413هـ.
- 179- الموافقات، الشاطبي، ت: مشهور سلمان، دار ابن عفان، الخبر، ط1، 1417هـ.
- 180- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، سليمان

- الغصن، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1416هـ.
- 181- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، ت: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
- 182- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابنت تغري الأتابكي، ت: فهيم شلتوت، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، 1389هـ.
- 183- نحن والإرهاب، محمد المحمود، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2010م.
- 184- التشيد الإسلامي، علي العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ.
- 185- نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان الخراشي، مكتبة التوحيد، الرياض، من غير تاريخ للنشر.
- 186- النفاس، علي العمري، الأمة للنشر، الرياض، ط1، 1431هـ.
- 187- نفع الطيب من غصن الأندلي الرطيب، التلمساني، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ.
- 188- نقد الخطاب السلفي... ابن تيمية نموذجاً، رائد السمهوري، طوى، لندن، ط1، 2010م.
- 189- نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، دار الطليعة، بيروت، ط9، 2003م.
- 190- نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط4، 2005م.
- 191- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال باوي، دار الوطن، الرياض، ط1، 1412هـ.
- 192- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ.

الصحف والمجلات

- 1- صحيفة الرياض. 2- صحيفة الجزيرة. 3- صحيفة عكاظ.
4- صحيفة المدينة. 5- الوطن. 6- مجلة منارات.
7- مجلة نون.

القنوات الفضائية

- 1- إقرأ. 2- إم بي سي. 3- دليل.
4- المجد. 5- العربية. 6- لايف.
7- بي بي سي. 8- القناة الأولى. 9- القناة الثقافية.

12- إل بي سي.

11- الرسالة.
14- فور شباب.

10- الجزيرة.
13- العالم.

فهرس الموضوعات

5.....	مقدمة الطبعة الثانية
7.....	المقدمة
13.....	التمهيد: وجوب الاستقامة والتحذير من الانحراف
17.....	الفصل الأول: أسباب الانحراف
19.....	أولاً: الإعراض عن الوحي
30.....	ثانياً: التولي عن سبيل المؤمنين
33.....	ثالثاً: الأخذ بالفلسفة وتعظيم الفلاسفة
45.....	رابعاً: ترك الصبر المأمور به
57.....	خامساً: الاغترار بالمنحرفين والانبهار بالجديد
67.....	سادساً: ظهور الشعارات وتعدد الرايات
79.....	سابعاً: ظهور المصطلحات والألفاظ المجملة
87.....	ثامناً: ضعف التدين والتعبد
94.....	تاسعاً: فساد النية وسوء القصد
103.....	عاشراً: تقحم المسائل بغير علم
117.....	حادي عشر: حب الرياسة والتطلع إليها
130.....	ثاني عشر: الدخول على السلاطين لغير غرض شرعي
139.....	ثالث عشر: الجدل والخصومة في الدين
144.....	رابع عشر: الغرور والإعجاب بالنفس والاعتداد بالذات
156.....	خامس عشر: مجالسة أهل البدع والتلقي عنهم
181.....	سادس عشر: ظهور أهل البدع
185.....	سابع عشر: نسخ العلم وذهاب العلماء
191.....	ثامن عشر: تتبع الرخص
197.....	الفصل الثاني: آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة
199.....	أولاً: أثر الانحراف على الفرد

201.....	الأول: التخبط والقلق
206.....	الثاني: النكوص على العقبين
207.....	الثالث: الخيبة والحرمان في الدنيا
210.....	الرابع: الذل والهوان
212.....	الخامس: التلون والتقل
217.....	السادس: الإلحاد
221.....	ثانياً: آثار الانحراف على المجتمع والأمة
221.....	الأول: التفرق والاختلاف
223.....	الثاني: سقوط الدول وزوال الممالك
224.....	الثالث: تسليط الأعداء
226.....	الرابع: فساد الزمان وتغير الأحوال
231.....	الفصل الثالث: سبل مواجهة الانحراف
233.....	أولاً: الرجوع إلى الكتاب والسنة
234.....	ثانياً: قيام العلماء بالواجب
237.....	ثالثاً: جهود الولاة والسلاطين
244.....	رابعاً: ضبط الفتوى ومنع المتلاعبين بها
246.....	خامساً: المحافظة على مراسم العلم الشرعي
251.....	الخاتمة
251.....	النتائج
258.....	التوصيات
261.....	فهرس المصادر والمراجع
281.....	فهرس الموضوعات